إنهاء أزمة لوكربي

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول

١٤٤

الوعي

العدد (١٤٤) السنة الثالثة عشرة – محرم ١٤٢٠هـ أيار ١٩٩٩م

تأملات في كتاب:
(أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة)

درس من مراحل الدعوة

صورة النظام الديمقراطي

حقيقة صندوق النقد الدولي والبنك الدولي

حلقات في الفكر السياسي (١)

السياسة الأميركية في احتواء أوروبا والسيطرة عليها

AL-WAIE

الوعي

السنة الثالثة عشرة - ١٤٤

جامعية - فكرية - ثقافية

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
برخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

المراسلات

ص.ب ١٣٥٠٩٩
شوران - بيروت
لبنان

ثمن النسخة

لبنان	:	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	٢ مارك
أميركا	:	٢,٥٠ دولار أميركي
كندا	:	٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا	:	٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	:	١ جنيه إسترليني
السويد	:	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	:	١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	:	٥٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	:	٢ فرنك سويسري
النمسا	:	٢٠ شلن
باكستان	:	دولار أميركي
تركيا	:	دولار أميركي
اليمن	:	٣٠ ريالا

إقرأ في هذا العدد (١٤٤)

ص

- كلمة الوعي: صورة النظام الديمقراطي ٣
- درس من مراحل الدعوة ٥
- حلقات في الفكر السياسي (١) ٩
- حقيقة صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ١٢
- مع القرآن الكريم: أدب الخطاب في الإسلام ١٦
- أخبار المسلمين في العالم ١٨
- في رحاب السيرة النبوية الشريفة: غـزوة الرجيع ٢١
- السياسة الأميركية في احتواء أوروبا والسيطرة عليها ٢٣
- تأملات في كتاب: (أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة) ٢٦
- إلغاء أزمة لوكربي ٣٢
- كلمة أخيرة: الانتخابات الانتقائية ٣٥

إلى السادة الكتاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم ووضع خط تحت جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في بيروت.

عناوين المراسلين

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: 301513
10749 Berlin
Germany

أستراليا
AL - WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

England
AL -WAIE
P.O.Box 2629
London N9 9UW
U.K

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

Canada : كندا
AL - WAIE
2376 Eglinton Ave. East
P.O.Box # 44553
Scarborough, ONT. M1K 2PO

اليمن
Mr. M. Amer
P.O Box: 11610
Sanaa - Yemen

النمسا
S. HASSAN
P.O.Box 82
A - 1127 WIEN
Austria (Vienna)

U.S.A أميركا
AL - WAIE
P.O.Box 37932
MILWAUKEE, WI. 53237

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة النظام الديمقراطي

كلمة الوعي

منذ أن بدا الغرب الكافر غزوه الثقافي والسياسي لبلاد المسلمين، حرص على تركيز أفكاره السياسية عن الحكم ومؤسساته لدى النخبة من المفكرين والسياسيين المدنيين والعسكريين من أبناء الأمة وبخاصة لدى أبناء المدن الكبرى، واخذ يلاحق آثار حملته، فكانت كلمة «الحرية» نشرت في إحدى الصحف في استانبول ولأول مرة في العقد السادس من القرن الماضي، وذلك في مقال كتبه أحد الضباط الأتراك العائدين من بعثة عسكرية إلى فرنسا. وقبل ذلك، لم يكن لكلمة «الحرية»معنى سوى عكس العبودية «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»، ثم أخذ مفهوم الحريات بمعناها الغربي يتركز ويتسع، وأنشئت جمعيات تطالب بالحرية والاستقلال لبعض رعايا دولة الخلافة العثمانية، فكانت الجمعية العربية، وجمعية تركيا الفتاة. وبعد احتلال بلاد المسلمين، جرى حكم الناس حكماً مباشراً من قبل دول الغرب الكافر، ثم لما أعطيت هذه الأقاليم شكل الدول، صارت تحكم على صورة النظام الديموقراطي الغربي.

إذ برغم حرص الغرب على أن تسود طريقته في العيش في جميع العالم، وبرغم تسيير الشؤون الاقتصادية لبلاد المسلمين على النمط الرأسمالي بشكل يكاد يتطابق مع ما هو معمول به في الدول الرأسمالية، إلاّ أن الحياة السياسية عند المسلمين بعيدة كل البعد عن جوهر الديموقراطيات الغربية، وإن كانت على شاكلتها، فهناك انتخابات، وهناك سلطات ثلاث، وهناك مجالس «منتخبة»تمثل الشعب، إلاّ أن ذلك ما يجري على السطح، وليس هو الصورة المطابقة لما يجري في الواقع. والسبب الأكيد وراء هذا التزوير لإرادة الناس، والالتفاف على اختيارهم الحر، هو إدراك الغرب الكافر، أن الناس إذا تركوا يختارون حكامهم وممثليهم، ونمط عيشهم في كل مناحي الحياة، فلن يختاروا إلا الإسلام وأحكام الإسلام وحملة دعوة الإسلام، فلكي يبعدوا حملة الدعوة الإسلامية عن مراكز القرار، ويبعدوا الإسلام عن تشكيل المجتمع والعلاقات، كان لا بد من تزوير الانتخابات بكل شكل من أشكال التزوير.

والغريب، أن البلاد في مجموعها، كانت فيها مؤسسات «ديموقراطية» كما يسمونها، وكان هناك تنافس على رئاسة الدولة في بعض الدول، وكانت هناك معارك انتخابية، وحملات دعائية يظهر فيها بعض الحياد من السلطة، إلاّ أن الناس كانوا مدركين أن سبب بلائهم وشقائهم، هي هذه الأنظمة الديموقراطية شكلاً، ولذلك استبشر الناس خيراً بالحركات الثورية، والانقلابات العسكرية، والتي بدأتها أميركا في سوريا بانقلاب حسني الزعيم عام ١٩٤٩، ثم ثورة عبد الناصر في مصر عام ١٩٥٢، وتتالت الانقلابات، وعصفت بالمنطقة حالة صراع حاد بين الاستعمار القديم ممثلاً ببريطانيا وفرنسا، والاستعمار الجديد الذي تتزعمه أميركا؛ وراجت فكرة الاشتراكية والتأميم، والإصلاح الزراعي، وشاعت بين الناس فكرة أن الأوضاع ليست ناضجة بالقدر الكافي لتطبيق الديموقراطية، وحُكم الناس بالحديد والنار، وجرى تكريس زعامة الحكام بدون أمد محدود، وظهرت الأحزاب الحاكمة التي احتكرت تمثيل الناس. ثم اكتشف الناس عوار هذه الطروحات، وأنها زادت أحوالهم سوءاً، فازداد فقر الأفراد، كما تعاظم فقر الدول، ورزحت تحت ديون طائلة، أصبحت غير قادرة على تسديد فوائدها، فكيف بتسديد أصولها، وهكذا انتكس الناس إلى الخلف، مطالبين بعودة الديموقراطية التي حمّلوها مآسيهم وهزائمهم وبخاصة مسرحية حرب فلسطين في عام ١٩٤٨. وكأن لا خيار للأمة غير الاشتراكية والديموقراطية، وكأن لا نظام حكم في الإسلام، هو نظام الخلافة، ولهذا رجع الناس يهللون لعودة الديموقراطية، لأنها تعني في تقديرهم انتهاء القمع والبطش، الذي طال كل الناس في كل

بلاد المسلمين، فصار حتى بعض المفكرين الإسلاميين ينادون بالديموقراطية، وأن المطالبة بها واجب شرعي، لأن حمل الدعوة الإسلامية في أجواء الحريات ميسور، وحتى إن الكثير من الحركات الإسلامية صارت تطالب بالديموقراطية، وتدعو إلى حرية تشكيل الأحزاب، وإلى تداول السلطة عن طريق الانتخاب، والقبول برأي الأكثرية ولو خالف الشرع، لأن الاحتكام إلى الشرع يكون بالرضا ولا يكون بالإكراه.

ففي السودان، مثلاً، كانت هناك ديموقراطية وتعدد أحزاب، أيام الصادق المهدي، فقام الجيش بانقلاب

البشير، لأنه رأى أن تعدد الأحزاب أفسد الحياة السياسية، وزاد الأوضاع سوءاً، ثم يأتي نظام البشير نفسه ليتبنى سياسة التعددية الحزبية، ويدعو الأحزاب القديمة من أمثال الأنصار والختمية لإعادة تشكيل أحزاب وتحت الأسماء نفسها. وكذلك في الأردن، حُلّت الأحزاب في عام ١٩٥٧، ولمدة ثلاثة عقود، ثم سمح بتشكيل أحزاب في العقد الأخير، ويسمح لها بالترشيح للمجلس النيابي، ويشارك بعضها في الحكومات.

وفي تركيا، برغم وجود حياة حزبية، وتمثيل شعبي، إلاّ أن الذي يمسك بزمام السلطة جنرالات الجيش، وهؤلاء كم من مرة، حَلّوا الأحزاب، ومارسوا الحكم مباشرة بدون واجهة، كان ذلك في انقلاب غورسيل ضد بايار ومندريس، ثم عاد الجيش إلى ثكناته، ليعود الحكم المدني ـ الواجهة، ثم يتدخل الجيش فيطيح بالحكومة وبالمجلس النيابي وبالأحزاب، في انقلاب كنعان ايفرين، وكم من مرة في عام ١٩٩٧ هدّد الجيش بالاستيلاء على الحكم أيام رئيس الوزراء أربكان. وقد أجريت الانتخابات الأخيرة من أجل الإتيان بمجلس تشريعي لا يعارض طموحات الجيش في تعديل الدستور، والنص على دور فاعل للجيش في الحياة السياسية، وقد كانت النتائج في مصلحة العسكر، فحزب أجاويد والحزب القومي كلاهما بيد الجيش، وكذلك حزب الوطن الأم، وهذه الأحزاب الثلاثة تشكل أكثرية المجلس، ولهذا نتصور أن المجلس الجديد سيسهّل طموحات الجنرالات، وستنعم تركيا ببعض الاستقرار السياسي.

أما في الجزائر، فدور الجنرالات الذين تربّوا مع الجيش الفرنسي، وتخرجوا في معاهده العسكرية، واضح للعيان، فبعد أن أصبحت جبهة الإنقاذ الإسلامية على وشك أخذ الحكم بشكل ديموقراطي عن طريق صناديق الاقتراع، تدخل الجيش، فألغى الانتخابات وحظر جبهة الإنقاذ، وأودع قادتها السجن، وبدأ حملة مطاردة وتصفية لعناصرها، لا تزال قائمة حتى الآن. فالجيش هو الذي يمسك بالسلطة، وهو الذي جاء بكل رؤساء الجزائر من بن بيلا إلى عبد العزيز بوتفيلقة. ومن المفارقات أن جنرالات الجيش حالوا دون مجيء بوتفيلقة إلى رئاسة الجزائر عقب وفاة بومدين، ثم عرضوا عليه الحكم في التسعينات فاعتذر، وأخيراً جاءوا به في انتخابات مزورة تمت في ١٩٩٩/٤/١٥، والمعروف أن بوتفيلقة من ضباط جيش التحرير الجزائري الذين كانت مواقعهم في حرب الاستقلال في وجدة بالمغرب مع بومدين وزمرته، وأنه تسلم حقيبة الخارجية لمدة طويلة في عهد بومدين، ولهذا يُنتظر أن يأتلف مع الجنرالات، لأنه معتاد على تدخلهم في شؤون الحكم، وسوف يستجيب لطلباتهم، ولا يعترض على تصرفاتهم كما حاول بوضياف من قبل فقُتل، وكما حصل مع زروال الذي لم يتحمل تدخل الجيش في الحكم، فانسحب فيل انتهاء ولايته، رغم أنه من الجنرالات.

وبهذا يظهر للعيان أن الديموقراطية في بلادنا، إن وجدت، مفصّلة على مقاس الحاكم، وأن الانتخابات أسلوب بيد القابعين وراء السلطة يلهون به الناس، ويسوّقون بينهم من يرتضونه رئيساً، أو نائباً أو وزيراً، ولهذا فإن تصور أخذ الحكم عن الطريق الديموقراطي، وعبر صناديق الانتخاب، وهم من الأوهام، وضرب من الخيال، إلاّ إذا كانت الجهة الممسكة بالسلطة راضية عن الشخص أو الجماعة أو الحزب. وهل يرضى هؤلاء ومن وراءهم، أن يعود الحكم إلى الأمة تنصب من تشاء من المسلمين المخلصين الواعين الأتقياء، ليحكمها بشرع الله، وليقودها لتحرير أرضها وتوحيد البلاد في دولة واحدة، ولتحمل معه رسالة الإسلام إلى البشر جميعاً؟!! ❑

درس من مراحل الدعوة

يقول الحق تبارك وتعالى مخاطباً رسوله عليه السلام: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يُهلك إلا القوم الفاسقون ۞﴾ الأحقاف/٣٥. وقال: ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ۞﴾ الروم/٦٠.

قبل البداية بموضوع الحديث نقول: إن كتاب الله "القرآن الكريم" هو إشعاع نور وهداية ورحمة لأمّة الإسلام وللبشرية جمعاء حتى تقوم الساعة، وذلك بما حوى من بيان لكل شيء: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ۞﴾ النحل/٨٩. وبما حوى من عبر وقصص لمن سبق من الأنبياء والأمم. فهو بحق كما وصفه الحق تبارك وتعالى نور: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ۞﴾ النساء/١٧٤، وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين ۞﴾ يونس/٥٧.

هذا الكتاب خاطبت آياته الكريمة الرسول عليه السلام في مرحلة حرجة من مراحل الدعوة، في مرحلة الدعوة الأولى في مكة المكرمة قبل التمكين والاستخلاف في الأرض. في هذه المرحلة عاش الرسول عليه السلام ومعه خيرة البشر من المؤمنين الذين اتبعوه، حياةً صعبة في المواجهة وفي الإمتحان والابتلاء والاختبار. ففوق الإيذاء الشديد من قبل صناديد مكة وساداتها، كانت قلوب المؤمنين تتلهف للنصر، للتمكين والاستخلاف في الأرض، حتى تشفى صدورهم، وحتى يستريحوا من هذا الضنك الشديد والعذاب المضني. وانتظر الرسول عليه السلام ، وانتظر أصحابه رضوان الله عليهم ثلاثة عشر عاماً متتالية، تعرضوا فيها للحصار في شعب أبي طالب، وتعرضوا فيها للتعذيب في صحراء مكة الملتهبة، وهاجروا مرتين إلى الحبشة هرباً بدينهم وعقيدتهم.

فكيف عالجت الآيات القرآنية نفسيات المؤمنين في هذه المرحلة، وكيف كانت خاتمة الأمر؟ لقد عالجت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتنزلة على لسان الرسول الكريم نفسيات المؤمنين بثلاثة أساليب:

الأول: كانت آيات الكتاب المتتابعة تتحدث عن مسائل في العقيدة كمسألة الرزق والأجل والقدر، فتخبر الرسول عليه السلام وأصحابه معه أن الله هو الرازق كقوله تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ۞﴾ الذاريات/٥٨، وقوله: ﴿وكأيّن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ۞﴾ العنكبوت/٦٠، فمهما حاصرتكم قريش في شعب أبي طالب أو منعت عنكم الطعام والشراب فإن رزقكم آتيكم رغم أنفها: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون ۞﴾. وتخبر الرسول ﷺ وأصحابه أن الله هو الذي يحي ويميت وأن الأجل بيده لا بيد قريش ولا بيد ساداتها كقوله تعالى: ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ۞﴾ الأعراف/٣٤، وقوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ۞﴾ العنكبوت/٥٧. فرغم العذاب والاضطهاد لن تموت نفس منكم إلا إذا استوفت أجلها.

وتخبر الرسول كذلك أن الأمر كله لله، فلن ينالكم نصبٌ ولا أذى إلا وقد قدّر عليكم، كقوله تعالى: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذٍ يفرح المؤمنون ۞ بنصر الله﴾ الروم/٤ - ٥.

بالإضافة إلى ذلك كانت الآيات والأحاديث تهوّن أمر الدنيا مقابل الآخرة، فتخبرهم أن الدنيا هينة على الله، وأنها دار عبورلا قرار، وأن هذا العذاب كله لا يقابل غمسة نعيم واحدة في الجنة، وأن الله قد جعل مصير المؤمنين في جنات الخلد، وجعل مصير هؤلاء المردة الكفرة من صناديد قريش في نار جهنم. وكذلك كانت الآيات تصف النعيم وتصف الجحيم، كقوله تعالى: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ۞ إني ظننت أني ملاق حسابيه ۞ فهو في عيشة راضية ۞ في جنة عالية ۞ قطوفها دانية ۞ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ۞ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ۞ ولم أدر ما حسابيه ۞ يا ليتها كانت القاضية ۞ ما أغنى عني ماليه ۞ هلك عني سلطانيه ۞ خذوه فغلوه ۞ ثم الجحيم صلّوه ۞ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ۞ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ۞﴾ الحاقة/١٩-٣٣.

أما الأسلوب الثاني والذي كانت تتنزل به الآيات لتلطيف الجو ولتهوين الأمر على الرسول وصحبه، فهو قصص الأنبياء السابقين وكيف حملوا مشعل النور، كيف واجهوا أقوامهم، وكيف آذوهم واضطهدوهم تماماً كما اضطُهد المسلمون والرسول ﷺ معهم، وكيف كانت الخاتمة في الدنيا قبل الآخرة، ولمن كانت العاقبة.

ولقد كانت الآيات تركز على أولي العزم من الرسل، حيث خاطب الحق تبارك وتعالى رسوله بأن يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وبشّره بأن العاقبة ستكون له كما كانت لهم: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا

فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ هود/٤٩. وأشهر تلك القصص التي هونت الأمر على الرسول ﷺ وعلى أصحابه قصة نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام جميعاً.

ففي قصة نوح مثلاً، عرض الحق تبارك وتعالى مشاهد الكبر التي كانت تقفها نفسيات الكفار أمام مشاهد الصبر والإيمان والاحتساب عند الله التي وقفها نوح عليه السلام مع قومه غير مكترث بما يلاقي في سبيل ذلك، فدعا قومه عليه السلام ألف سنة إلا خمسين عاماً: ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾ العنكبوت/١٤، حتى إذا رأى منهم جحوداً بعد أجيال متعاقبة خاطب ربه قائلاً: ﴿قال ربّ إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ﴾ فلم يزدهم دعائي إلا فرارا ﴾ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكبارا ﴾ ثم إني دعوتهم جهارا ﴾ ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا ﴾ نوح/٥ ـ ٩، فأمره ربه أن يصنع الفلك: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ هود/٣٧. وحتى في هذه المرحلة لم يسلم نوح من شرهم، قال تعالى: ﴿ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ﴾ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم ﴾ هود/٣٨-٣٩. حتى إذا جاء أمر الله، حتى إذا جاء نصر الله، ورقْعُه للإيمان ومحْـقُه للكفر، قال مخاطباً نوحاً عليه السلام: ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ﴾ وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرسها إن ربي لغفور رحيم﴾ هود/٤٠ ـ٤١.

ثم تختتم قصة نوح عليه السلام بمخاطبة رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ هود/٤٩. أي اصبر يا محمد ومن معك فإن الله ناصرك وجاعل العاقبة لك ولمن حولك من المؤمنين.

وكذلك قصة موسى "كليم الله" عليه السلام مع فرعون، فيها من العبر والعظات الشيء الكثير، فهي قصة طاغية متجبر يبحث عن الحق ليطفئه بجبروته، ويأبى الله في نهاية الأمر إلا أن يطفئ نار فرعون وضلاله وجبروته، وأن يتم نوره في الأرض. قصة متجبر في الأرض يبحث عن وليدٍ سيحمل الحق بالوحي والرسالة ليقتله وهو يتربى داخل قصره في أحضانه وأحضان زوجته. قال تعالى واصفاً بداية القصة: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ وقالت امرأة فرعون قرتُ عينٍ لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ﴾ القصص/٧-٩.

وتربى موسى في بيت فرعون: ﴿ألم نربّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ وبُعث موسى عليه السلام، وعاد إلى فرعون، ومكّن الله له في الأرض مع بني إسرائيل من بعد ضعف واستضعاف وإذلال. قال تعالى: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ ونمكّن لهم في الأرض ونريَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ القصص/٥ ـ ٦. لقد كانت العاقبة للتقوى كما قال تعالى على لسان موسى وهو يبشر قومه بحسن العاقبة في الدنيا: ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ الأعراف/١٢٨.

أما الأسلوب الثالث، فهو البشارات التي تبشر المؤمنين مع رسولهم عليه السلام أن العاقبة هي للتقوى، ففي كل قصة، أو خلال سردها كانت الآيات تخبر الرسول عليه السلام أن العاقبة هي لك ولأتباعك، وستظهرون على أعدائكم كما ظهر إبراهيم على النمرود، وكما ظهر نوح، وكما ظهر موسى، وكما ظهر غيرهم من الأنبياء والمرسلين. وكان الوحي كذلك ينزل بالبشارات على لسان الرسول عليه السلام بأن العاقبة هي للتقوى، هي لهم وليست لقريش ولا لأعوانهم من العرب. وليس أدل على ذلك من بشارته عليه السلام لخباب بن الأرت عندما جاءه على رأس وفد من الصحابة بعد أن أكلت السياط لحومهم، ولهيب الصحراء وجوههم، وبعد أن طال النصر عليهم، فقال خباب رضي الله عنه: ألا تدعو لنا، ألا تستنصر لنا يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «... والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» رواه البخاري. وصدق الله ورسوله، فبعد رحلة اضطهاد وعذاب وعنت، وصبر وإيمان ومصابرة استمرت ثلاثة عشر عاماً، لاقى فيها المسلمون ما لاقوا، وهاجروا مرتين إلى الحبشة، وحوصروا وجوعوا. صدق الله وعده فكانت الدولة، وكانت العزة، وكان التمكين في الأرض كما مكن لمن سبقهم من أنبياء ورسل، وأصبح الراكب يسير من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه، بعد أن فتحت مكة وفتحت الحجاز، وفتحت الشام، والمدائن، وفارس والروم وغيرها.

وإن لنا نحن المسلمين هذه الأيام وخاصة حملة الدعوة، لدرساً بليغا في هذا، وخاصة أننا نعيش مرحلة مشابهة لتلك التي عاشها ﷺ مع المؤمنين، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ الأحزاب/٢١.

فالمسلمون بشكل عام، وحَمَلة الدعوة بشكل خاص في كرب شديد، في ضيق، في اضطهاد وعذاب ومشقة وعنت، ينتظرون النصر من الله بفارغ الصبر، وهم صامدون ثابتون على دينهم كالنخلة الباسقة التي لا تؤثر فيها رياح ولا أعاصير. ولا نبالغ إذا قلنا إن

الأذى الذي يلحق بحَمَلة الدعوة اليوم هو أكبر وأشد من الأذى الذي لحق بالرسول عليه السلام وأصحابه، وذلك أنهم كانوا يجدون على الحق أعوانا ونحن لا نجد على الحق أعوانا، فليس لنا إلا الله وكفى به وكيلا.

فيا حملة الدعوة الأبرار إنكم على الحق وإنكم على الإيمان، وإن سنة الله باقية لا تتغير ولا تتبدل حتى يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلاً ۞﴾ فاطر/٤٣. فالله تعالى هو الذي بشر الأنبياء والرسل ممن سبق الرسول عليه السلام بالنصر، وقد بشر الرسول عليه السلام كذلك، وأظهرهم الله ونصرهم ومكن لهم في الأرض وأنجز وعده: ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ التوبة/١١١. وقد بشركم رسولكم عليه السلام وبشركم ربكم في قرآنه أن العاقبة هي لكم، بعموم الآيات التي وردت في نصره الحق وتأييده كقوله تعالى: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ۞ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ۞﴾ التوبة/٣٢-٣٣. وقوله: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ۞﴾ غافر/٥١. وكقوله عليه السلام: «إن الله زوى (أي جمع وضم) الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها» رواه الإمام أحمد عن ثوبان. وقال بعد أن سئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أم رومية، فقال ﷺ: «مدينة هرقل تفتح أولاً»، يعني القسطنطينية. رواه أحمد. ولم تفتح روما بعد، وإن شاء الله ستفتح قريباً بعد قيام دولة الإسلام (الخلافة) التي بشر بها عليه السلام حيث قال: تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت» رواه أحمد.

وقبل أن نختم موضوعنا نقول مخاطبين المخلصين من أبناء هذه الأمة من حملة المشعل الإلهي، من حملة الإيمان والحق:

- إنه لا بد قبل النصر من الإيمان، ولا بد للإيمان من الاختبار والابتلاء والامتحان، وبعدها يكون النصر والفرج، بعد الصدق والثبات على الحق، ولا يضير ذلك ضعف ولا قوة، فيأتي الفرج من الله حتى ولو كان حملة الدعوة ضعفاء مستضعفين في الأرض وعدوهم قوياً متغطرساً. قال تعالى بشأن الابتلاء: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ۞ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ العنكبوت/٢-٣.
- إن هذا الدين بذرة حية، وأرض الله واسعة، ولا ندري بأي أرض تقع هذه البذرة، وأي أرض طيبة سوف تحتضن شجرة الإيمان الطيبة، كما احتضنت مدينة الرسول رسول الله ﷺ. فمن يدري لعل الله يهيء أناسا لا نعلمهم لنصرة أصحاب الحق واحتضانهم.
- إن الجزاء الحقيقي، الجزاء الأوفى هو في الدار الآخرة وليس في دار الدنيا: ﴿ثم يُجزاه الجزاء الأوفى ۞﴾ النجم٤١، فقد حمل رئيس الكتلة مشعل الهداية، ولم يقدر له الله أن يرى ثمرة عمله في الدنيا، ولكنه سيرى ثمرة عمله طيبة عند ربه في دار الجزاء الأوفى، وحتى لو قامت الدولة وكانت العزة، فليس هذا هو الجزاء الأوفى من الله، بل هو جائزة الدنيا، وثمرة الصبر والإيمان في دار الدنيا.

فالآيات القرآنية التي تحدثت عن الجزاء وعن النصر جعلته بشرى للمؤمنين وثمرة طيبة ينالونها في الدنيا، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ۞ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ۞ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ۞ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ۞﴾ الصف/١٠-١٣.

- إن الثبات على المبدأ، والالتزام بالفكرة وأحكامها، والاستقامة على الطريق، وعدم الانحراف عنها قيد شعرة، هو الشرط الأساس للنصر. فحذار من الانحراف أو التجاوب مع نصيحة صديق يريد لكم الخير، ويحاول أن يحميكم من كيد الظالمين والكافرين، وهو في حقيقة الأمر يسهّل لكم الانحراف، وفي ذلك الخسران المبين في الدنيا والآخرة. قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ المائدة/٤٩.

نسأل الله تعالى أن تكون العاقبة لنا في الدنيا كما كانت لرسولنا عليه السلام ومن سار معه، وأن تكون العاقبة لنا في دار الجزاء الأوفى. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ❑

أبو المعتصم
عزون - بيت المقدس

حلقات في الفكر السياسي (١)

المواضيع التي نود تقديمها في هذه الحلقات، هي مواضيع أساسيه في الفكر الإنساني، من مثل الدين والمجتمع والدولة والدار والجماعة وغيرها، وهي من ثوابت الفكر الإنساني وجوهره، وهي ركائز حقيقية تحدد وجهه نظر الجماعات البشرية عن الحياة، أي هي من الأمور التي لا غناء عنها لعاقل، ولا يستغني عنها إلا غافل، ولا يفرط فيها إلا جاهل، فمنزلتها من الإنسان كمنزلة الروح من الحياة، وحاجته إليها كحاجته للهواء والغذاء.

وسنحاول تقديمها - إن شاء الله - باعتبارها من الفكر السياسي، لكونها مواضيع عمليه، تمس حياة الناس، وتتعلق بمصالحهم الحياتية، وترتبط بشؤونهم الدنيوية. وذلك بخلاف المواضيع الجدلية أو الفلسفية أو النظرية التي قد تحلق بعيداً عن الواقع، ويغلب عليها الناحية النظرية البحتة؛ وقد توغل في الفروض المنطقية الموصلة إلى الخيال فتنأى بنفسها عن وقائع الحياة المحسوسة، وعن الحوادث اليومية الجارية.

على أن ما نريد تناوله في هذه الحلقات من موضوعات قد سبق وأن تناولتها الأقلام وأشبعتها بحثاً، وتحدث فيها العلماء وأسهبوا في شرحها، وما زال الناس يتداولونها ويتبادلون معارفهم بشأنها، ولكن الجديد في تناول هذه الموضوعات هنا أمران : -

<u>الأول</u>: - حصر تناولها وعرضها من زاوية الفكر السياسي .

<u>الثاني</u>: - ربطها بما هو موجود عند غيرنا من الأمم الأخرى عنها لتوخي الحقيقة واحتضانها.

ولنبدأ في هذه الحلقة بالموضوع الأول وهو «الدين». فما المقصود بالدين ؟ وما هي الناحية السياسية فيه ؟ وكيف نعتبره من الفكر السياسي ؟ وما هي علاقة الدين بالسياسة وبالحياة وبالدولة ؟ وهل التدين والعبادة شيء وما سواه من الدين شيء آخر ؟ وللإجابة على هذه التساؤلات نقول وبالله التوفيق:

الدين هو ما أنزله الله سبحانه من شرائع أو أوامر ونواه على رسله ليبلغوها للبشر ويعملوا بها، وهذه الشرائع أو الأوامر والنواهي لا تخرج عن أحد أمرين وهما: إما أن تكون من العقائد، وإما أن تكون من الأحكام، فإن كانت من العقائد فمحلها التصديق وتتعلق بالإيمان، وإن كانت من الأحكام فمحلها الأفعال وتتعلق بالعمل. وبمعنى مبسط يمكن القول بأن الدين هو عقائد وأحكام فالعقائد يطلب فيها الإيمان والأحكام يطلب فيها العمل. والإسلام، وهو آخر دين أنزله الله سبحانه على البشر، هو كغيره من الأديان عقائد وأحكام. فعقائده الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله سبحانه، ويجب في هذه العقائد الإيمان، وأحكامه هي المعالجات التي جاءت لأفعال العباد المختلفة كالعبادات والمعاملات والعقوبات والأنظمة المختلفة.

وبعد مجيء الإسلام لا تقبل عقائد أو أحكام إلا منه لقوله عز وجل: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام﴾ ولقوله سبحانه: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ ولقوله: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾. فالدين منذ نزل الوحي على سيدنا محمد ﷺ هو الإسلام ولا دين شرعا غير دين الإسلام، أي لا عقائد ولا أحكام غير عقائد وأحكام الإسلام، وأتباع الأديان السابقة مأمورون باتباع نبينا محمد ﷺ وترك أديانهم. ولا يصح أن يقال عن صلاتهم أو صيامهم إنها عبادة لله، ولا يصح أن يطلق على أماكن عبادتهم أنها دور عبادة لله، لأنه لا عبادة بعد نزول الوحي على خاتم الأنبياء والمرسلين، إلا ما جاء به الرسول الخاتم، ولأن دور عبادتهم لا يعبد فيها الله.

والتمييز بين الاعتقاد والتصديق، وكذلك بين الاعتقاد والأحكام ضروري لمعرفة الأدلة التي يستدل بها على العقائد والأحكام. فالاعتقاد هو التصديق الجازم، ويجب أن يكون دليله قطعياً لكي يحصل منه الجزم، ولذلك كانت أدلة العقائد قطعية الثبوت قطعية الدلالة. أما إن كان الدليل غير قطعي فلا يجب اعتقاده. أما الأحكام الشرعية فيؤخذ فيها بغلبة الظن، ولهذا لا يشترط أن يكون دليلها قطعياً.

هذا هو المقصود بالدين، أما الناحية السياسية فيه فمتعلقة برعاية شؤون الناس أي بجعله أساساً في الحكم بين الناس، وأساساً في تنفيذ الحكم، وبمعنى آخر جعل القانون والدستور والأنظمة مستمدة من الدين أو ما دل عليها بشكل من الأشكال. قال تعالى: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ أي بكل ما أنزل الله من أحكام. وقال: ﴿وأحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ أي احذرهم أن يفتنوك ويبعدوك عن عدم تحكيم الإسلام في أي جزء من شؤون حياتهم ولو كان يسيراً. ومثلاً حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» جعل العقيدة الإسلامية التي أساسها الشهادتان عقيدة سياسية، إذ ربطها بقتال الناس وربط حمل الدعوة إلى الناس بها. وهكذا فإننا نجد أن العقائد الإسلامية هي عقائد سياسية لأنها ربطت بأحكام شرعية انبثقت عنها وحافظت عليها، ونجد كذلك أن الأحكام الشرعية هي أحكام سياسية، لأنها تعالج شؤون الناس فترعاها، وتتناول مشاكلهم فتحلها، وهذه هي السياسة بعينها.

وبهذا يتبين أن الدين هو فكر سياسي، إذا طبق على أرض الواقع، وفكر كهنوتي إذا جمد تطبيقه وحصر في دور العبادة. فالدين باعتباره فكراً سياسياً جاء ليسيِّر الحياة بحسب أوامر الله ونواهيه، وربطه بالدولة أمر لا مفر منه حتى تنتظم الحياة وفق أحكام الدين.

بقيت نقطة واحدة: وهي هل التدين هو العبادة فقط وما سوى العبادات من الدين ليست من التدين ؟ وللإجابة على هذه النقطة ينبغي معرفة ما التدين، وما واقع علاقات الإنسان. فالتدين هو إحساس الإنسان بالعجز والنقص والاحتياج إلى الخالق المدبر. والعبادة هي أعلى مظاهر التقديس لهذا الخالق المدبر. ولكنها ليست هي التدين، بل التدين أشمل وأعم، وهو طاعة الله الخالق المدبر في كل ما يأمر به. أما علاقات الإنسان فهي ثلاث لا رابع لها: وهي علاقة الإنسان بخالقه وتشمل العقائد والعبادات، وعلاقة الإنسان بنفسه وتشمل المطعومات والملبوسات والأخلاق، وعلاقة الإنسان بغيره وتشمل المعاملات والعقوبات. ولما كانت العبادات وهي جزء من علاقته بربه، وهي الجزء الأبرز في طاعة الإنسان لخالقه، وهي الأشد تعبيراً عن سائر العلاقات الأخرى، لما كانت كذلك ظن البعض بأن التدين يقتصر عليها وهذا ظن خاطئ لسببين: -

<u>أولهما</u>: أن الاعتقاد بوجود الله وبوحدانيته هو أساس الدين بما فيه العبادات وغيرها، ولولا الاعتقاد لما وجدت العبادات، ولا وجدت غيرها من أحكام الدين الأخرى، وبناءً عليه فأساس الدين وأساس التدين هو العقائد لا العبادات.

<u>ثانيهما</u>: إن الدين شامل للعلاقات الثلاث التي تربط الإنسان بخالقه وبنفسه وبغيره، فلا مجال لتقديم إحداها على الأخرى، ولا ذريعة لاعتبار العبادة فقط من التدين، وعدم اعتبار غيرها، لأن هذا تحكم لا أساس له، ولا يوجد دليل واحد يدل عليه لا من الكتاب ولا من السنة.

وأما بالنسبة للأديان الأخرى الموجودة اليوم كالنصرانية واليهودية والهندوسية والبوذية وغيرها فهي في حقيقتها كما هي عليه، وكما يطرحها أتباعها ليست أدياناً كما هو الحال مع الدين الإسلامي، لأنها وإن أطلق عليها أديان إلا أنها ليست كذلك، ويطلق عليها دين مجازاً، ولكن حقيقتها أنها ملل أو عقائد أو نحل، لأنها لا تشتمل على الأحكام التي تعالج جميع شؤون الحياة، فهي ناقصة وتقتصر في طرحها على العقائد والعبادات وعلى بعض الوصايا والأخلاق، ولذلك كان فصلها عن الحياة وعن الدولة وعن السياسة أمراً بدهياً، فعقائدها وعباداتها وأحكامها روحية صرفه وليست سياسية. بينما الإسلام عقائد وأحكام سياسية لرعاية جميع مصالح الناس، وتصريف جميع شؤونهم، لذلك كان من أفظع الأخطاء التي وقع فيها المسلمون هو قياس الإسلام على الأديان الأخرى، والقبول بفصله عن الحياة، بل كان المقتل الحقيقي الذي أصاب المسلمين، هو قبولهم بمجرد البحث في إمكانية فصل الإسلام عن الحياة وعن السياسة وعن الدولة.

وخلاصة القول، إن فكرة فصل الإسلام عن السياسة غريبة عن الإسلام، وما كان ينبغي أن تطرح، وطرحها جزء من الغزو الفكري الغربي، الذي غزانا به الفكر الرأسمالي الغربي، الذي حاول أن يسوق فكرة فصل الدين عن الحياة بين المسلمين كجزء من الغزو الثقافي الذي فرضه على البلاد الإسلامية مقدمة لفرض سيطرته الكاملة على المسلمين وبلادهم، لذلك يجب الحذر منه ومقاومته ورفضه وعدم الانزلاق في مزالقه. ويبقى سؤال وهو: هل ما يطرح اليوم بشأن الثابت والمتغير، وأن العقائد والعبادات وبعض الأخلاق من الثوابت، وما عداها من الأحكام من المتحولات أو المتغيرات، هل لذلك سند من الإسلام؟!

الذين يطرحون هذه الطروحات يستندون إلى ما ورد عن سيدنا عمر أنه أوقف إعطاء «المؤلفة قلوبهم» من مال الزكاة، وأنه لم يقطع في عام الرمادة، ثم هناك الاختلاف في الاجتهاد بين كبار الصحابة والتابعين، ويستدلون أيضاً بما جاء في مجلة الأحكام الشرعية من قاعدة «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان». وللإجابة باختصار، فإن عقائد الإسلام وأحكامه ثابتة لا تتغير، فالإيمان بالله الواحد وبمحمد الرسول الخاتم كالإيمان بأن الصلاة فرض وصوم رمضان فرض، وأن الربا حرام، وقطع يد السارق حداً فرض، وأن الكذب حرام، وأن التجسس لصالح العدو حرام، ولا فرق بين هذه وتلك، ولكن الحكم على الشيء أو الفعل مرتبط بواقعه، فالخمرة حرام، ولكن إذا خُللت صارت حلالاً، إذ لم تعد خمراً، ولهذا تغير الحكم، والسارق الذي يحد بقطع يده يجب أن تتوفر فيه شروط منها أن لا يكون أخذ المال لأجل الحياة كونه جائعاً، فإن أخذ مال غيره ليقيم أوده، فلا ينطبق على عمله وصف السرقة التي فيها القطع، ولهذا لا يقطع. وعلى ذلك فإن الإسلام كله بعقائده وتشريعاته من الثوابت التي لا يجوز العبث بها تحت أية ذريعة، من مثل مسايرة العصر، أو مواكبة التقدم، أو الحداثة أو العصرنة، وهي كلها فخاخ لحرف المسلمين عن دينهم، حفظ الله المسلمين ودينهم❑

حقيقة صندوق النقد الدولي والبنك الدولي

انعقد الاجتماع السنوي لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي في أواخر ١٩٩٧ في هونغ كونغ، وكان الاستبشار طاغياً، إذ تم احتواء الأزمة المالية في آسيا، ولو على المدى المحدود. أما اجتماع خريف ١٩٩٨ فانعقد في واشنطن، في أجواء اقتصادية سيئة: فاليابان تعاني ركوداً اقتصادياً هو الأسوأ منذ الحرب العالمية الثانية، وهناك انهيار اقتصادي شبه كامل في روسيا، وترد في إندونيسيا، حيث يعيش أكثر من ١٠٠ مليون تحت خط الفقر، وهناك مخاوف عميقة مما يمكن أن يحصل لاحقاً في أميركا اللاتينية. أما اجتماع الربيع لعام ١٩٩٩، فأمامه مشاكل متعددة منها: مساعدة دول المواجهة في منطقة البلقان، وبخاصة ألبانيا ومكدونيا، حيث يتواصل تدفق اللاجئين من مسلمي كوسوفا، ثم إن التراجع الاقتصادي في أميركا اللاتينية سيكون أسوأ مما كان متوقعاً، إذ إن الركود يعم الأرجنتين وفنزويلا والإكوادور والأوروغواي فضلاً عن البرازيل، ثم هناك مخاوف حقيقية من تباطؤ في الاقتصاد الأميركي يؤثر سلباً على الاقتصاد العالمي، وأخيراً هناك مبادرة مسامحة الدول الأكثر فقراً في العالم التي لم يستفد منها حتى أواخر ١٩٩٨ إلا دولتان.

أسس صندوق النقد الدولي قبل أكثر من خمسين عاماً، بعد مؤتمر بريتون وودز، الذي بحث في كيفية توفير الاستقرار في الاقتصاد العالمي، وتأمين السلام بعد الحرب العالمية الثانية. واليوم توجّه إليه الاتهامات، ليس فقط من دول أفريقيا وجنوب آسيا، التي تكره غطرسة الصندوق، وإنما أيضاً من كبار رجال الأعمال في وول ستريت في نيويورك، ومن كبار المسؤولين في الدول ذات الاقتصاد القوي في أوروبا وآسيا. حتى إن هنالك من يقولون بوجوب إلغاء صندوق النقد الدولي، مثل جورج شولتز وزير الخارجية الأميركي الأسبق، وعدد من أعضاء الكونغرس، الذين تتزايد عندهم الشكوك في كل المؤسسات الدولية. لكن الكثيرين يتحدثون عن وجوب إنشاء آلية مالية جديدة تقوم بما عجز عنه الصندوق الحالي، أي إطفاء الحرائق المالية قبل انتشارها.

ثم إن هنالك اتهامات متبادلة بشأن المسؤول عن التردي الاقتصادي، هل هم الرؤساء والقادة الضعفاء من أمثال الرئيس الروسي يلتسين، الذي أهدر الدفعة الأولى من مساعدات الصندوق وقيمتها ٤.٨ بليون دولار، أم هم كبار المستثمرين الذين ضخّوا أموالهم في الأسواق الناشئة، في أواسط التسعينيات، ثم سحبوها مذعورين بعد أن جنوا الأرباح الطائلة. هناك حقيقة ساطعة وهي أن مئات البلايين من الدولارات هربت من التداول في القارات الأربع، باحثة عن الملاذ الآمن، وغالباً في الولايات المتحدة، وأن هذه الأموال لن تعود ثانية قريباً، فهل بالإمكان وقف ذلك، أم أن العالم يتجه نحو ركود اقتصادي عالمي كما حصل في الثلاثينيات من هذا القرن.

يعترف ستانلي فيشر، نائب المدير الإداري للصندوق، بأنك حيثما ذهبت تقرأ القصة نفسها، «نحن جئنا، وجعلنا الأمور أكثر سوءاً. غالباً ما يقع اللوم علينا، ولكن من مصلحة الحكومات أن تعلّق مشاكلها علينا». ويُتهَم صندوق النقد الدولي بأن اهتماماته منصبة على استقرار البنوك والعملات، وعلى منع هروب رؤوس الأموال، وتحرير الأسواق، ولكنه لا يقدّر التكاليف الاجتماعية لهذه الإجراءات، والسبب في ذلك راجع إلى أن كبار مسؤولي الصندوق أكاديميون تنقصهم الخبرة السياسية، والمعرفة بثقافات الشعوب وتركيبتها الإثنية. فرئيس صندوق النقد الدولي، ميشيل كامديسو، كان يعمل في تفجير المناجم في الجزائر لصالح الجيش الفرنسي، قبل أن يلتحق بوزارة الخزانة ليصبح فيما بعد رئيساً للبنك المركزي الفرنسي. أما فيشر فهو من مواليد روديسيا الشمالية (زامبيا الآن)، وأصبح أحد أعضاء هيئة التدريس في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا ثم رئيس دائرة الاقتصاد في المعهد، وكان أستاذاً لنائب وزير الخزانة الأميركي، سومرز، ثم زميلاً له في المعهد، وهذا الأخير هو الذي كان وراء إسناد المنصب الثاني في الصندوق لأستاذه فيشر.

وحين بدأت الأزمة الاقتصادية في إندونيسيا، طار كامديسو إلى جاكرتا حيث اجتمع مع الرئيس السابق سوهارتو لمدة أربع ساعات، بحث فيها بشكل تفصيلي الإصلاحات الضخمة التي يشترط الصندوق على إندونيسيا تنفيذها قبل أن تحصل على عشرات بلايين الدولارات كمساعدة طوارئ، وقد طلب كامديسو من سوهارتو خصخصة الأملاك الحكومية، وإلغاء مشروع إنتاج الطائرة الوطني، وألمح إلى أن ذلك يمس أفراد عائلة سوهارتو، ولم يكن كامديسو مدركاً أن سوهارتو لا يرغب في تنفيذ الإصلاحات. وقد أدت مطالب صندوق النقد من السلطات الإندونيسية بوقف الدعم عن الوقود والخبز، إلى تزايد التظاهرات وإلى مزيد من تدهور سعر صرف

العملة، وإلى مزيد من البطالة، ونقص في المواد الغذائية، وإلى الاعتداء على الأقلية الصينية التي تهيمن على اقتصاديات البلد، إلى أن أطيح بسوهارتو.

وتبدو هيمنة أميركا على صندوق النقد الدولي واضحة كونها تملك ١٨.٥% من الأصوات في حين تملك كل من بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، واليابان ٥%، وأميركا تمارس نفوذها من وراء الكواليس، بالاتصالات المباشرة بين فيشر وسومرز، نائب وزير الخزانة الأميركي. ويصر الكثير من السياسيين ورجال الأعمال في العالم على أن إحدى أهم المشاكل مع صندوق النقد الدولي هي أنه يتصرف «ككلب مدلل» لوزارة الخزانة الأميركية، وحيثما سألت في جاكارتا أو في موسكو، فالجواب هو نفسه: إن صندوق النقد الدولي لا يجرؤ على التصرف قبل أن يأخذ موافقة سيده، وزارة الخزانة الأميركية. فحين تصبح المصالح الحيوية الأميركية مهددة، فإنها تتدخل، كما حصل في الأزمة الاقتصادية في المكسيك عام ١٩٩٥. وقد فهم الكوريون الجنوبيون هذا، ولذلك، حين أحس المسؤولون الكوريون في نهاية عام ١٩٩٧ بنقص خطير في العملات الصعبة، أرسلوا موفداً سرياً إلى واشنطن اجتمع مع سومرز، ولم يكلف نفسه عناء الاتصال بصندوق النقد، لأنه يعرف كيف تدار الأمور في الصندوق عن طريق سومرز، فأوفدت وزارة الخزانة بسرعة أحد اختصاصييها في مساعدات الطوارئ، الذي غطّى بوجوده على المفاوضات الدائرة بين مسؤولي الصندوق، وحكومة سيؤل. وقد أزعج ذلك فيشر، لأن في ذلك تضارباً بشأن من صاحب الصلاحية في التفاوض.

أما في حالة تايلاند، وهي حليف رئيس لأميركا، فلم تقدّم لها أية مساعدة مباشرة، وقد شعرت كل من وزارة الخارجية، ووزارة الدفاع الأميركيتين بالأسف لعدم مساعدة تايلند، ولكن حين طلبت منهما وزارة الخزانة التنازل عن بعض موازنتهما تراجعتا عن طلب المساعدة لتايلند. وحين اقترحت اليابان إنشاء صندوق مالي يسمى «صندوق آسيا» برأسمال ١٠٠ بليون دولار، من أجل مساعدة الدول الآسيوية التي تتعرض لهزات اقتصادية، رفضت أميركا الاقتراح، وحرِّض وزير الخزانة الأميركي ميشيل كامديسو، رئيس صندوق النقد، على رفضه لأن الاقتراح الياباني ينتقص من سلطة الصندوق.

أما البنك الدولي، فالاتهام الرئيس له، أنه يزيد الفقر، ولعل ما ورد في كتاب الاستقالة الموجه من بيير جلان، أحد العاملين بالبنك الدولي، إلى مدرائه في البنك، أسطع دليل على حقيقة البنك الدولي. وقد ورد نص كتاب الاستقالة في كتاب «القارة التائهة» للصحفي الإيطالي جني منه تحت باب «إستجوابات صحفية حول أميركا الجنوبية».

السادة مدراء البنك الدولي :

عشية المناسبة الخمسين لولادة منظمة الأمم المتحدة والمنظمات التي نشأت بعد اتفاق (بريتون وودز) أرغب في تقديم استقالتي من مجموعة العمل للمنظمات غير الحكومية في البنك الدولي، ولجنة الاقتراحات التابعة له، آخذا هذا القرار من أجل الأمانة الفكرية، ومن أجل أن أكون صادقا مع كثير من الأصدقاء الذين عملت معهم من العالم الثالث.

بعد أن أتيحت لي فرصة الإطلاع خلال الثلاث سنوات الأخيرة على سلوك البنك الدولي، فإنني أضم نفسي إلى بعض زملائي في المنظمات غير الحكومية، الذين يعتقدون أن الطريق الوحيد للعدالة والصدق بين شعوب الأرض هي مقاطعة البنك الدولي. وقد كنت أملت في الماضي أن تعاونا وتضافرا مع مجموعة العمل للمنظمات غير الحكومية في البنك الدولي سيساهم في إنماء مسؤولية مشتركة تجاه مستقبل الشعوب الأقل حظا في العالم. ولكنه لم يكن كذلك، الفقر يزداد، الجوع يقتل ... بالتأكيد أكثر من الحروب، وأعداد الذين تنقصهم العناية الطبية، والشباب الأميين، والأيتام، يزداد كل يوم بأرقام لم يكن لها مثيل. ومع كل ذلك، فالحلول المقترحة من البنك الدولي من أجل التنمية هي الدواء المسموم، ولا يزيد الطين إلا بلة !

بصدق أشعر في قرارة نفسي أن من واجبي أن أقول ... كفى! لقد سيطرتم على أفكار وآراء المنظمات غير الحكومية حول التنمية، وحول التنمية الاقتصادية، وحول الفقر، وحول دور المشاركة الشعبية. ثم في نفس الوقت اقترحتم سياسة إصلاح هيكلي تفاقم الآفات الاجتماعية في الدول الجنوبية في الكرة الأرضية، تاركيهم وحيدين من غير حماية في براثن السوق العالمي.

إن المنظمة المسؤولة عن التنمية في كل العالم هي البنك الدولي، وهي الأكثر تعجرفا، تتدخل في شؤون الدول الداخلية والخارجية بقوة لم يكن لها مثيل في التاريخ، تحدد شروط التنمية لكنها لا تعتبر نفسها مسؤولة عن النتائج. تعلمت منظمة البنك الدولي إعداد التحاليل الممتازة، والقدرة على التكلم عن مواضيع مهمة كالمشاركة الشعبية ـ خاصة المتعلقة بالمرأة ـ ومحاربة الشعوب للفقر، والحاجة إلى حماية البيئة، وتذهب أبعد من ذلك إلى المدافعة عن حقوق الإنسان وتلك الخاصة بالأقليات. وتقوم بالضغط على حكومات من أجل أن يحترموا تلك الحقوق، وهي قادرة على جعل أفكارها لماعة، مشيرة إلى أنه كم هو من المهم للتنمية أن تحترم أفكارها من قبل هذه الدولة أو تلك.

أمام كل هذا ينشأ سؤال واحد: لماذا كل هذا الطرح الرنان الملحق بالإجراءات المخزية؟ فمن الناحية العملية يشترط البنك الدولي لتقديم دعمه تنفيذ سياسات التعديل الهيكلي والتي تعتبر مجرمة من الناحية الاجتماعية.

البنك الدولي يعرف تماما عن الفقر، وكيف يصبح الناس فقراء، وعن كيفية تهميش قطاع ضخم من السكان على وجه الأرض. إذا ... هذا عبارة عن استهتار ... عن دجل سياسي. أنا شخصيا أعتقد أنه يوجد سوء نية وراء كل هذا، ذلك لأن البنك

الدولي - وراء كل طرحه المنمق والجميل - يعتبر أداة في خدمة نظرية متأصلة للتطور، مبنية على المنافسة وليس على التعاون. إن من واجب البنك الدولي تأمين المشاركة في السوق العالمي للجميع، كباراً وصغاراً.

من النادر جدا - لكن بالتأكيد ليس اليوم - أن يكون النمو الاقتصادي مرادفا لكلمة التنمية، في هذه المرحلة من القرن الحالي، النمو والمنافسة عبارة عن وسائل للثراء السريع لأقلية من البشر، من غير أن يكون لهذا أثر على التنمية، أو على التعاون، أو على إعادة توزيع الثروة بين بني البشر. إن عدم التكافؤ بين بني البشر عميق، والجوع يقتل ملايين الأشخاص من غير أن يؤدي ذلك إلى الثورة أو الامتعاض.

ما دام البنك الدولي يمارس سياسة التعديل الهيكلي وهو خالي الشعور، فإنه يبقى من واجبنا أن نحرك أكبر عدد ممكن من ضحايا هذا التعديل من أجل محاربة هذا النوع من التدخل.

بعد اشتراكي بصفتي عضوا في مجموعة العمل لمدة ثلاث سنوات ونصف في الحوار مع البنك الدولي ... أقدم استقالتي لأني أعتقد أنه لا يوجد أي أمل لجعل البنك الدولي أكثر إنسانية.

إفريقيا تموت والبنك الدولي يزداد ثراء، آسيا وأوروبا الشرقية يرون ثرواتهم تنهب، والبنك الدولي يدعم اقتراحات صندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية التي تبيح النهب للثروات المادية والعقلية. أمريكا اللاتينية كالقارتين الأخريين ترى برعب كيف أن أطفالها يستعملون كقوة عاملة، بل وأكثر رعبا يستعملون كقطع غيار لسوق زرع الأعضاء في شمال أمريكا.

خلال طروحات البنك الدولي يتكلمون عن التضحيات الضرورية التي تتطلب التصحيح الهيكلي من أجل أن تنخرط الدول في السوق العالمي المعولم، كأنه صحراء قاسية يجب عبورها من أجل الوصول إلى أرض التنمية الموعودة. لا أريد أن أكون متواطئا مع هذا التسليم الذي يعظ له البنك الدولي، أفضل أن أساند منظمات الفلاحين من غير أرض، وأطفال الشوارع، والنساء في الشوارع الآسيوية، اللواتي يرفضن بيع أجسادهن، والعمال والنقابات التي تحارب نهب مصادرهم وتفكيك قدراتهم الإنتاجية.

لخبرة طويلة أعرف أنه يوجد أصدقاء كثيرون في المنظمات غير الحكومية يظنون أن حوارا مع البنك الدولي يفيد في تغيير نهجه ليصار إلى تفهم أحسن لمطالب التعاون والتنمية. احترم هذا الرأي، واحترم الذين بداخل البنك الدولي، أولئك الذين يأملون في أن الحوار مع المنظمات غير الحكومية يؤدي إلى تغيير في التقييم ... لكن لخبرتي الطويلة في مجموعة العمل، أفضل أن أترك قبل أن تنتهي فترة صلاحياتي لأني لا أريد أن أستمر في أن أكون متواطئاً.

تمنياتي للبنك في نهاية هذا العام بسيطة :خمسون عاما كافية ... أنتم أحد الأعداء الرئيسين للفقراء وللحقوق التي يدافعون عنها من خلال الأمم المتحدة، أنتم عبارة عن الآلة الأكثر تطورا وضخامة للعلاقات العامة الموجودة اليوم في العالم لفرض إحساس الإحباط على الجميع، ولدفعهم للاستسلام والرضى بأن النمو محفوظ لأقلية، وأن البقية الذين لا يعتبرون منافسين بالشكل الكافي ولا قابلين للترويض لا يبقى لهم إلا الفقر الذي لا مفر منه.

إن دفع اقتصاد التنمية الذي يروج للعدالة الاجتماعية عن طريق فتح المجال لعدد أكبر من الناس لأخذ أجر عال يفرض علينا أن نبحث عن منظمة أخرى، المنظمة التي تحل محل البنك الدولي. ويجب عليها أن تسمح لأبناء البشرية الاشتراك والتمتع بأعمال تعيد لهم شرفهم، وتضمن لهم الغذاء والحق في أن يكونوا مختلفين، كل ذلك في إطار من النمو المشترك.

وأنا أترك مجموعة العمل، أحيي زملائي الذين لا أزال أحترمهم، وأعبر عن تقديري لكل الموظفين لهذه المنظمة. فقط بإعادة البناء وبجهد جديد من أجل تحويل الأمم المتحدة والمنظمات المنبثقة عن اتفاق (بريتون وودز) سنكون قادرين على خلق ظروف مناسبة من أجل معاودة البدء بالحرب ضد الجوع ولصالح التعاون من أجل النمو المشترك بين بني البشر ❑

بصراحة - السكرتير العام للاكسفوم

بيير جلان - بلجيكا

مع القرآن الكريم	﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أدب الخطاب في الإسلام

يقول الله تعالى: ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يستأذنوه إنّ الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ۞ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ۞﴾.

روى ابن إسحاق في سبب نزول هاتين الآيتين أنه لما كان تجمع قريش والأحزاب في غزوة الخندق، فأمر رسول الله ﷺ بناء على مشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه، أن يضرب حول المدينة خندق، وعمل رسول الله ﷺ في حفره، وعمل معه المسلمون، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين رجال من المنافقين، وجعلوا يتظاهرون بالعمل القليل، ويتسللون إلى أهلهم بغير علم رسول الله ﷺ ولا إذنه، أما المسلمون، فكان إذا نابت أحدهم نائبة، من الحاجة التي لا بُدّ منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في اللحوق بحاجته، فيأذن له، فإذا قضى حاجته، رجع إلى ما كان فيه من العمل، رغبة في الخير، واحتساباً له. فأنزل الله في المؤمنين الآية الأولى، وأنزل في المنافقين الآية الثانية.

وهذا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه، فأمرهم بالاستئذان عند الانصراف، إذا كانوا في أمر جامع مع رسول الله ﷺ، وهو كل ما تجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير في الحرب، أو اجتماع في مشورة أو في صلاة عيد أو جمعة أو جماعة، وجعل هذا الاستئذان، عند الضرورة، مصداقاً لصحة الإيمان بالله ورسوله: ﴿إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾. فجعل من كمال الإيمان الاستئذان قبل الانصراف، وهو من الآداب التي لا يستقيم أمر الجماعة إلا إذا استقرت في حياتها، فتصبح تقليداً متبعاً، وسجيّة نافذة، وإلاّ فهي الفوضى التي لا حدود لها.

وهذا ليس خاصاً بالجماعة مع رسول الله ﷺ، وإنما هو عام في كل جماعة لها أمير، اجتمعت على أمرٍ هام فيه مصلحة للمسلمين، فيندب الاستئذان من أمير الجماعة قبل الانصراف، ولا يكون الاستئذان إلاّ عند الحاجة، وجعل أمر قبول الاستئذان أو رفضه إلى الأمير، إن شاء أذن، وإن شاء رفض، وذلك متروك لتقديره للحاجة التي جرى الاستئذان من أجل قضائها، كما أنه متروك لتقدير الأمير للشخص صاحب الحاجة، هل هو صادق في استئذانه، أم أنه يتعلل بها لدوافع أخرى.

فقد عاتب الله رسوله الكريم، حين أذن لبعض المخلّفين بعدم الالتحاق بجيش العسرة، وقبل منهم ظاهرهم، وترك أمرهم إلى الله، فقال تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ۞﴾.والطلب من رسول الله ﷺ أن يستغفر لمن أراد الاستئذان، دليل على أن الأفضل أن لا يستأذنوا، وأن يواصلوا مقامهم مع رسول الله ﷺ حتى يُقضى الأمر الذي اجتمعوا له.

ثم أرشد في الآية الثانية إلى أدب مخاطبة الرسول ﷺ، وهو أن يكون فيه توقير وتبجيل لرسول هذه الأمة. قال الضحاك عن ابن عباس: كانوا يقولون: يا محمد يا أبا القاسم، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، قال: فقولوا يا نبي الله، يا رسول الله. وهكذا قال مجاهد وابن جبير. وقال قتادة: أمر الله أن يُهاب نبيه، وأن يبجّل وأن يعظّم وأن يُسوَّد. وقال مقاتل: لا تُسموه إذا دعوتموه يا محمد، ولا تقولوا يا أبا عبد الله، ولكن شرّفوه فقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض، كما قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ۞﴾ فلا بد من امتلاء القلوب بالتوقير لرسول الله ﷺ حتى تستشعر توقير كل كلمة منه وكل توجيه، وفي ذلك توجيه ربّاني ضروري، أن للرسول جلاله، وأن للأمير وقاره، وأن للمربي احترامه، وأن للقائد هيبته.وفرق بين أن يكون هو متواضعاً هيناً ليناً، وأن ينسوا هم أنه مربيهم، ويتجاوزوا الحدود بين القائد والمقود، والمربي وتلامذته، بل يجب أن يحسوا منزلته في قرارة نفوسهم، ويستحيوا أن يتجاوزوا منزلته بحكم علمه ومركزه وسابقته.

وقد وردت آيات كريمة في أدب الخطاب لرسول الله ﷺ، منها ما يتعلق بعدم مناداته ﷺ من وراء الحجرات، وهو قوله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ۞ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم ۞﴾ كما أمر الله تعالى المسلمين بتقديم الصدقة قبل مناجاته عليه السلام، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم ۞﴾ كما أمر الحق تبارك وتعالى المسلمين أن يتخيروا الألفاظ بين يدي رسول الله فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم ۞﴾ كما أمرهم أن لا يسبقوا الرسول ﷺ في إصدار حكم حتى يبين لهم عن الله ما أنزل فيما يتعلق بشؤون دينهم، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ۞﴾.

وقد أرشد الله تعالى رسوله الكريم إلى كيفية تعامله مع المسلمين، فأمره بالرحمة واللين لهم، قال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ فمع اللين لهم، دعوة إلى العفو عن مسيئهم، والاستغفار لهم، ومشاورتهم في الأمر فيما تجوز فيه المشاورة أو يندب إليها.

هذه بعض آداب الخطاب للرسول الكريم، وإنه وإن كان بعضها مختصاً به ﷺ مثل تقديم الصدقة بين يدي مناجاته، إلاّ أن كثيراً من هذه الآداب تتعلق بكل أمير أو قائد أو مربٍّ، فلا بد أن تحفظ لكلِ منزلته، وأن تراعى هيبته، وأن يعامل باحترام وتوقير، فإن سقطت هيبته، لا يحترمه أحد، ولا يقيمون وزناً لرأيه، ولا يطيعون أمره، وفي ذلك تفريط بوحدة الجماعة، وضياع لمصلحة الناس. ويجب على المرؤوسين والمقودين أن يردّوا سهام الطعن الموجهة إلى أميرهم أو قائدهم، وأن يعاونوه بكل إمكاناتهم من أجل حمل الأمانة وتسيير أمور الجماعة. وهذا لا يعني السكوت عن الخطأ، أو التستر على التقصير، وإنما المحاسبة واجبة، وهي حق لا يصح مصادرته، ولكنه يكون في حدود أدب الخطاب، وبالأسلوب الحسن، وبتراحم المؤمنين وتوادّهم وتناصحهم. كما أن محاسبة المسؤول لمرؤوسيه لا تكون بروح التشفي والانتقام، والشماتة، ولكن بنفسية الطبيب المؤمن، الذي يعالج المريض بتؤدة، ويقطع العضو المريض بإحسان، وبذلك تكون الجماعة متآلفة متحابة في الله، وتكون عوناً لأفرادها على الشيطان، وعلى نوازع النفس الأمارة بالسوء، وهكذا تكون أهلاً لتوفيق الله وتسديده ونصره: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ۞﴾ ❑

أخبار المسلمين في العالم	قـالَ اللـه تعـالى: ﴿ إنّمـا المـؤمنـون إخـوَة ﴾ قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وآله وسلم: « المسلمُ أخو المسلِم لا يظلمُهُ ولا يخْذُلُهُ ولا يَحقرُهُ ».

إحياء الهلال الخصيب

دعا مسؤول أردني في تصريحات إلى صحيفة «الحياة» إلى «استكمال حلقة الهلال الخصيب بإقامة تكامل سوري ـ لبناني ـ أردني بعد التكامل السوري اللبناني ما يؤسس لتكامل مع فلسطين»، وكانت سوريا قد دعت عام ١٩٧٦ إلى إنشاء اتحاد رباعي يضم سوريا ولبنان والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، ونقلت أكثر من مرة تصريحات لمسؤولين سوريين كبار أن الأردن وفلسطين هما جنوب سوريا، وأن سوريا هي شمال فلسطين والأردن.

ويبقى موقف السلطة الفلسطينية هو الأكثر حساسية وحراجة، إذ المعلوم أن العلاقات السورية مع منظمة التحرير الفلسطينية ليست على ما يرام منذ ١٩٧٦، وقبل خروج المنظمة من لبنان، ثم بعد حصار طرابلس، وأخيراً بعد اتفاق أوسلو وملحقاته، كما أن سوريا تستضيف معارضي عرفات واتفاق أوسلو، فهل قام الملك عبد الله بدور وساطة بين السلطة الوطنية ودمشق وبالتالي يصبح التعاون الرباعي حقيقة واقعة ❑

مغامرات نتنياهو العسكرية

في مناظرة تلفزيونية بين رئيس وزراء العدو، ووزير دفاعه السابق، قال موردخاي وزير الدفاع السابق، أن نتنياهو بعث برسائل إلى السوريين متجاوزاً الولايات المتحدة، ومن دون مشاركة الأجهزة الأمنية في الدولة العبرية، وافق فيها على الانسحاب من الجولان في مقابل إبقاء محطات للإنذار المبكر في جبل الشيخ ومواقع أخرى، إضافة إلى ترتيبات أمنية واسعة. ونقلت صحيفة «معاريف» أن نتنياهو حاول إجراء اتصالات مع السوريين في باريس للتوصل معهم إلى اتفاق من دون علم الأجهزة ومن وراء ظهر واشنطن. كما أنه أراد إرسال طائرات من نوع أباتشي لقصف مواقع حركة حماس في قطاع غزة، وكان يفكر في إرسال فرقة كوماندوس إسرائيلية لاقتحام سجن أريحا وقتل من بداخله من عناصر حماس والجهاد الإسلامي، كما فكر في احتلال نابلس خلال أحداث النفق عام ٩٦ رداً على مقتل ستة جنود إسرائيليين في محيط موقع قبر يوسف، كما أراد إرسال طائرات لقصف بغداد قبيل العدوان الأميركي البريطاني على العراق أواخر العام الماضي❑

العلاقات اليمنية ـ الأميركية

اجتمع الرئيس اليمني مع الجنرال زيني قائد القوات المركزية الأميركية الذي بدأ الاثنين ٤/٢٦ زيارة لليمن لمدة يومين. وقيل إن الزيارة تستهدف الإطلاع على عمليات التدريب المشتركة بين العسكريين اليمنيين والأميركان من أجل نزع الألغام التي خلفتها حرب الانفصال صيف عام ١٩٩٤، ولكن تردد في اليمن أن زيني سيعرض على المسؤولين اليمنيين إنشاء قاعدة عسكرية أميركية في جزيرة سوقطرة، وتخزين أعتدة وأسلحة أميركية في اليمن، ومعلوم أن لأميركا تسهيلات بحرية في ميناء عدن، وتعمل مع السلطات اليمنية لإزالة حطام السفن التي غرقت في شواطئ عدن. وتتزامن الزيارة مع مناقشة مشروع قانون الخصخصة الذي قدّمته الحكومة لمجلس النواب، والذي يثير نقاشاً حاداً بين الحكومة ومجلس النواب. وللتذكير فإنه تم الإعلان منذ أكثر من شهر عن تشكيل لجنة في اليمن مهمتها إقرار المناهج الدراسية ومراجعتها، وقد تزامن ذلك مع الإعلان عن منح البنك الدولي قرضاً لليمن قيمته مائة مليون دولار❑

إخوان الأردن تحت الراية الهاشمية

اجتمع ملك الأردن يوم ٣/١٨ مع قيادة جماعة الإخوان المسلمين في الأردن برئاسة عبد المجيد الذنيبات المراقب العام للجماعة. وأعرب الملك عن تقديره للدور «الأخلاقي والاجتماعي والوطني» الذي تؤديه الحركة الإسلامية (طبعاً جماعة الإخوان) مستذكراً مواقفها «الوطنية المشرفة إلى جانب الوطن واستقراره عبر العقود الماضية». وقد خاطب الذنيبات الملك في الاجتماع الذي استغرق ساعة بقوله: «نحن معك يا جلالة الملك، ونحن معك فريقاً واحداً وجسماً واحداً، ونثق بك ملكاً وقائداً لمرحلة جديدة ودور كبير» وأكد أن الجماعة تنظر إلى الأردن «بوابة للفتح على رغم ما كان يتوقعه المتربصون والذين راهنوا على استمراره بعد جلالة الملك الحسين»، وأكد وقوف الجماعة «خلف القيادة الهاشمية، وتحت رايتها»، وقدّمت الجماعة مذكرة تفصيلية تضمنت رؤيتها للقضايا السياسية كافة، خصوصاً ما يتعلق بـ «تعميق المنهج الديموقراطي وترسيخ الحريات العامة سواء على مستوى الأداء أو التشريعات.»❑

الاحتفال بـِ « عيد النار » في إيران

لأول مرة منذ ثورة الخميني في إيران، تسمح وزارة الداخلية بشكل رسمي بالاحتفال بالنار، وتقدّم النصائح

والإرشادات عن كيفية الاحتفال، والوقاية من مخاطر النار. ويكون الاحتفال عشية الأربعاء الأخير من السنة الإيرانية التي تنتهي في العشرين من آذار (مارس) من كل عام ميلادي؛ واختلف في أصل هذا التقليد الذي يعود إلى عشرات القرون، أي إلى ما قبل البعثة المحمدية، فمنهم من يردّه إلى العام ١٧٢٥ قبل الميلاد، عندما أطلق زرادشت دعوته الإصلاحية، واتخذ من النار رمزاً له. ومنهم من يقول إن زرادشت نفسه ولد في مثل هذه الليلة. وقد ترافقت هذه الاحتفالات مع الذكرى السنوية لوفاة الإمام التاسع لدى الشيعة الإمامية محمد التقي الجوّاد. الأمر الذي دفع أوساطاً مؤمنة مخلصة إلى استنكار هذه الاحتفالات.

كما احتفلت إيران بما يسمى «عيد النوروز» كعادتهم كل عام. وهو من أعياد الفرس. وهو الأهم بين الأعياد في إيران، حتى بعد قيام الثورة، حتى إن قائد الثورة الإمام الخميني رفض إلغاء هذا الاحتفال كما طالب عدد من الرجال المؤمنين. واعتبره من الأيام التي يُندب صيامها❑

عداء حكام تركيا للإسلام

حظرت السلطات العلمانية في تركيا على الضباط الذين أحيلوا على التقاعد لقيامهم بنشاطات إسلامية (ومنها الصلاة أو قراءة القرآن أو حمل نسخة من المصحف الشريف)، وعلى أفراد عوائلهم، حظرت عليهم دخول دور الضباط ومنشآت الراحة والاستجمام والمعسكرات. ووصفتهم بأنهم الضباط الذين فصلوا من الجيش لقيامهم بنشاطات «أصولية وانفصالية وهدامة.».

وفي الوقت نفسه سمحت الحكومة بالاحتفال بـ «عيد النوروز»، وهو عيد كفار، واحتفل رئيس الوزراء السابق مسعود يلماظ بهذا العيد مع زوجته، ودارا حول النار، وقفزا من فوقها، ومعهما أقطاب حزب «الوطن الأم»❑

مسجد جديد بالناصرة

شهدت مدينة الناصرة الفلسطينية المحتلة صدامات بين المسلمين والنصارى بشأن إقامة مسجد على وقف شهاب الدين، ويصر المسلمون على أن قطعة الأرض وقف، ويجب أن يُشاد عليها مسجد، بينما يصر رئيس البلدية النصراني على أنها من أملاك الدولة وأن الجهة الصالحة للتفاوض هي الدولة وليست البلدية. ويعمل المجلس البلدي على أن تصبح قطعة الأرض ساحة عامة تستخدم موقفاً للسيارات في الاحتفالات التي ستقام في عيد الميلاد القادم تحت شعار «الناصرة ٢٠٠٠»، والتي يتوقع أن يشهدها مئات الآلاف من الزوار. وقد تم الاتفاق على بناء المسجد على قطعة الأرض، ويترك أمر تقدير مساحته لمفاوضات بين ممثل عن البلدية، وممثل عن لجنة الدفاع عن الوقف، وممثل عن حكومة العدو. والمستهجن أن يتدخل بابا روما في الأمر. وينقل عن مصادر الفاتيكان، أن البابا قد لا يزور فلسطين المحتلة في هذه المناسبة احتجاجاً على موافقة دولة العدو على بناء المسجد، على أرض وقف لا يجوز تغيير جهة الوقف أبداً❑

تجنيد فلسطينيين للمخابرات الأميركية

نشرت مجلة روز اليوسف المصرية في العدد ٣٦٩٤ ٣/٢٧ - ٤/٢ /١٩٩٩ ما يلي:

أقامت وكالة الاستخبارات الأميركية CIA مكاتب لها في مدن غزة ورام الله والخليل، وجهزتها بأحدث التقنيات اللازمة لعملها، وقد أبلغت الوكالة سلطة الحكم الذاتي الفلسطينية بأنها تعتزم تجنيد عدد من الشباب الفلسطينيين برواتب عالية تصل إلى ٦٠ و٨٠ ألف دولار سنوياً ممن يتقنون اللغتين العربية والإنجليزية للعمل لديها بعد أن يحصلوا على ترشيح من أجهزة الأمن الذاتي وشهادة حسن سلوك رسمية صادرة من السلطة الفلسطينية.

وذكر المركز الإعلامي الفلسطيني أن الوكالة تعاني من عجز واضح في عدد العاملين بصفوفها من الناطقين باللغة العربية ... وأضاف المركز الفلسطيني أن العديد من المراقبين يبدون خشيتهم من أن تحول وكالة الاستخبارات الأميركية مكاتبها في أراضي فلسطين لمراكز تجسس إقليمية تهدف لمراقبة الدول العربية، لا سيما أن من بين مقترحاتها لأزمة الكادر استخدام طلبة الجامعات الفلسطينيين سواء في الأراضي الفلسطينية أو في الدول العربية وبعض البلدان الأوروبية بعد إخضاعهم لدورات أمنية في أميركا❑

اتقوا الله في المعتقلين

نشرت جريدة «الشعب» المصرية في عددها الصادر في ٩٩/٣/١٢ تقريراً عن أوضاع المعتقلين بسجن الوادي الجديد والذي يقيم بين جدرانه أربعة آلاف معتقل دون محاكمة بتهمة الانتماء إلى الجماعات الإسلامية، جاء فيه «في هذا السجن تبدأ خطة القتل البطيء من البوابة، حيث يستقبل المعتقلون بالضرب المبرح بالكابلات والهراوات الخشبية فيسحلون سحلاً، ثم يطلب منهم خلع جميع ملابسهم عدا الشورت الداخلي. وتتم مصادرة هذه الملابس. ثم يعطى لكل واحد منهم غيار داخلي واحد وبنطلون ... وبعد هذا الاستقبال الوحشي تقوم إدارة السجن بحشر المعتقلين في زنازين ضيقة بأعداد تصل إلى ٢٥ معتقلاً في زنزانة لا تتجاوز مساحتها ٢٠ متراً وسيئة التهوية. ولا تستر أجسادهم في ذروة برد الشتاء سوى الفانيلة الداخلية والبنطلون. أما الطعام فلا يصرف إلا بكميات لا تسد جوعاً ولا تقيم جسداً وبنوعيات لا تفي إلا بنسبة ضئيلة من احتياجات الجسم ... وأخذت الأمراض الخطيرة طريقها إلى الانتشار بين المعتقلين، كالالتهاب الكبدي (٦٠ حالة)، والدرن

الرئوي (حوالي ٢٠٠ حالة)، ولا يتم الكشف على المرضى إلا على من أشرف منهم على الهلاك ولا تسمح إدارة السجن بدخول أطعمة إلا بكميات ضئيلة جداً، ويمنع دخول الأسماك والفواكه والحلويات.» ❑

معدات إسرائيلية لإيران

ذكرت صحيفة «معاريف» الإسرائيلية في ٣/٢١ أن شركة إسرائيلية وقعت في معرض كولونيا الدولي في ألمانيا، عقوداً مع ثلاث شركات إيرانية لبيعها معدّات صناعية، عبر شركة وهمية في اليونان. وقد تم توقيع العقود في الجناح الإسرائيلي من المعرض، ويرى ممثلو الشركات الإيرانية الثلاث أن طهران يمكن أن تسمح قريباً بمبادلات تجارية مباشرة بين إسرائيل وإيران. هذا في الوقت الذي تواصل إسرائيل حملتها لوقف بيع تكنولوجيا متطورة من الصين وروسيا إلى إيران ❑

رؤية ليبيد للعلاقات الأميركية الروسية

أجرت صحيفة «دير شبيغل» الألمانية مقابلة مع الجنرال الروسي الكسندر ليبيد قال فيها: «منذ زمن وعلاقتنا بالولايات المتحدة لم تعد علاقة شراكة، إنها علاقة السيد بكلبه يغذيه ويداعبه أو يضربه أحياناً» وأضاف أن مثل هذه العلاقة لا تسمح بالتحول إلى «شريكين في المفاوضات»، ونذّد بما سماه عدوان الحلف الأطلسي ضد يوغوسلافيا مشيراً إلى ضرورة «توضيح أن يوغوسلافيا من ضمن دائرة المصالح الروسية» ولدى سؤاله حول منح ألبان كوسوفا حكماً ذاتياً، أجاب: «لَم لا» على الأقل كالذي أقامه تيتو في المنطقة ❑

ديموقراطية مصطفى مشهور

أجرت جريدة «الحقيقة» الأسبوعية المصرية حواراً مع مصطفى مشهور المرشد العام للإخوان. نشرت نصه «رسالة الإخوان» الأسبوعية الدورية في العدد رقم ١٣٢ تاريخ ٩٩/٣/١٩. جاء فيه رداً على سؤال عن «تقييمكم للأوضاع في مصر» : «لقد أعلنا أننا مع الديموقراطية التي تعني حق الإنسان في الحرية والأمن وحقه في اختيار مسؤوليه وممثليه من خلال انتخابات حرة ونزيهة. والأمر يقتضي إطلاق الحريات وإلغاء قانون الطوارئ وجميع القوانين الاستثنائية»؛ وفي تعليقه على ما ورد في أحد تصريحات مأمون الهضيبي «إن الإصلاح السياسي مقدّم على تطبيق الشريعة الإسلامية» قال مشهور: «ومن المهم أن أذكر أن تطبيق شرع الله يعني فيما يعني العمل بالشورى، والعمل بالشورى يعني كفالة حق الاختيار، وحق المشاركة والحريات والحقوق في إطار الشورى، ومن ثم فإن تطبيق الشرع يعني إطلاق الحريات.». وفي دفاعه عن اتهام بعض الجماعات للإخوان أنهم يهادنون الحكومة ويتجنبون الصدام معها، قال: «نحن لا نسعى إلى الصدام ولا نشعل فتيلاً لحروب. ولكن نحن دعاة إلى الله، ندعو للحب والأخوة، وما فيه الصالح العام وخير الأمة»، وعن موقفهم من أقباط مصر أكد «أن الإخوان مع حق كل إنسان في الحرية والأمن وحقه في تشكيل حزبه وإصدار صحفه.» ❑

إسرائيل وحرب البلقان

لم تتخذ إسرائيل موقفاً واضحاً عن عمليات حلف الأطلسي ضد يوغوسلافيا، فرئيس وزراء العدو اليهودي قال على مضض إنه يتفهم قصف ناتو الجوي ضد صربيا، بينما قال وزير خارجيته شارون إن «إسرائيل تنظر بخطورة إلى أي عمل قتل أو ذبح للأبرياء» وهو يقصد طبعاً قصف الصرب؛ وقد نقل عن شارون قوله في جلسات مغلقة أنه «لا يوجد صالحون أو أشرار في المأساة الجارية في يوغوسلافيا، فصالحو الأمس هم أشرار اليوم والعكس صحيح» وأعرب عن اعتقاده بأن ما يجري في يوغوسلافيا «يلزم إسرائيل باستخلاص العبر وعليها أن تنظر إلى أمام ... في اللحظة التي تعرب فيها عن تأييدها لنمط العمل الذي يشهده في كوسوفا، فإنها (إسرائيل) قد تصبح الضحية التالية» وأضاف: «تصوروا أن يقرر العرب في الجليل يوماً ما المطالبة بحكم ذاتي على صلة بالسلطة الفلسطينية». ويبدو أن شارون يحاول تمويه موقفه. إذ إن ما يجري في الصرب كان ظاهره وقف المجازر والتهجير ضد مسلمي كوسوفا. فهل يفكر شارون في مجازر وتهجير بحق الفلسطينيين ؟ ❑

غزوة الرجيع

بعد القرح الذي أصاب المسلمين في أحد، كان لا بد من تحركات عسكرية ترفع معنويات المسلمين، وتردع الكافرين عن التفكير في الاعتداء على المسلمين، وتعيد الهيبة إلى نفوس اليهود والمشركين من محمد ﷺ وصحابته الأكرمين. وقد بلغ رسول الله ﷺ أن بني أسد، وعلى رأسهم طليحة وأخوه سلمة قد جمعا حلفاء من بني أسد ليقصدوا حرب النبي ﷺ، فبعث رسول الله ﷺ إلى أبي سلمة، وكان أصيب يوم أحد، بجرح في عضده، ولكنه شفي منه، وعقد له لواء سرية من مائة وخمسين من المسلمين. وقال له: سر حتى تأتي أرض بني أسد، فأغِر عليهم، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وكان ذلك في المحرم من السنة الرابعة للهجرة. فلما وصل المسلمون إلى أرض بني أسد، تفرقوا وتركوا الكثير من الإبل والغنم، فأخذ ذلك كله أبو سلمة، وأسر منهم ثلاثة مماليك، وقفل راجعاً إلى المدينة، وقد غاب أبو سلمة رضي الله عنه عن المدينة بضع عشرة ليلة، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه فمات في أواخر جمادى الأولى، وبعد انقضاء عدة أم سلمة تزوجها رسول الله ﷺ، فأبدلها الله خيراً منه.

ثم كان يوم الرجيع، وقد اختلف البخاري وابن إسحاق في روايتيهما للوقعة، فروى البخاري عن أبي هريرة قال: بعث النبي ﷺ سرية عيناً وأمّر عليهم عاصم بن ثابت ... فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذُكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رامٍ، فاقتصوا آثارهم، حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم .... فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألاّ نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا رسولك، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق، نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حَلّوا

أوتار قسيّهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث الذي معهما هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم فجرّوه، وعالجوه على أن يصحبهم، فلم يفعل فقتلوه؛ وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً، حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث يستحدّ بها، فأعارته، قالت فغفلت عن صبي لي فدرج إليه، حتى إذا أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني، وفي يده الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله. وكانت تقول ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب، وما بمكة يومئذ من ثمره، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقاً رزقه الله. فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا ما بي جزعٌ من الموت لزدت. فكان أول من سنّ الركعتين عند القتل هو. ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً. ثم قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً
على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلوٍ ممزَّع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله. وروى البخاري أن عددهم كان عشرة.

أما ابن إسحاق فقال: حدّثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله ﷺ، بعد أحد، رهط من عضل والقارة، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستة من أصحابه. قال ابن إسحاق أن أمير القوم كان مَرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب. قال ابن إسحاق فخرجوا معهم حتى إذا كانوا على الرجيع، ماء لهذيل، غدروا بهم،

فاستصرخوا عليهم هذيلاً، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلاّ الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم، فاخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم، فقالوا لهم إنا والله، ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم. فأما عاصم واثنان من أصحابه، فرفضوا عرض المشركين، وقاتلوهم حتى استشهدوا جميعاً. فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن سهيل، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد، لئن قدرت على رأس عاصم، لتشربن في قحفه الخمر، فمنعته الدَّبْر، فلما حالت بينهم وبينه، قالوا دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فنأخذه، فبعث الله الوادي، فاحتمل عاصماً فذهب به. وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسّه مشرك، ولا يمس مشركاً أبداً تنجساً، فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدَّبْر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسّه مشرك، ولا يمسّ مشركاً أبداً، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه في حياته. أما الثلاثة الآخرون، خبيب وزيد وثالثهم، فلانوا ورقّوا ورغبوا في الحياة، وأعطوا بأيديهم، فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظهران، انتزع الثالث يده من الوثاق، ثم أخذ سيفه، واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، ودُفن بالظهران. أما خبيب وزيد، فباعوهما من قريش، فأما خبيب فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل كما في رواية البخاري، وأما زيد فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه، قال أبو سفيان: أنشدك بالله يا زيد، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه، وإنك في أهلك؟ قال: والله، ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه، تصيبه شوكة تؤذيه، وإني جالس في أهلي. يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً. وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيب: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً. إذ كانوا يقولون: إن الرجل إذا دُعي عليه، فاضطجع لجنبه، زالت عنه.

وأورد ابن إسحاق أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان استعمل سعيد بن عامر على بعض الشام، فكانت تصيبه غشية، وهو بين ظهرَيْ القوم، فذكر ذلك لعمر، فاستدعاه عمر فسأله: يا سعيد، ما هذا الذي يصيبك؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما بي من بأس، ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قُتل، وسمعت دعوته، فوالله ما خطرت على قلبي، وأنا في مجلس قط، إلا غشي عليْ فزادته عند عمر خيراً. وكان عمر يقول: من سرّه أن ينظر إلى رجل نسيج وحده، فلينظر إلى سعيد بن عامر. وبذلك يبدو أن هناك خلافاً فيمن دعا على الكفار، هل هو خبيب بن عدي، أم زيد بن الدثنة، رضوان الله عليهما.

وكان مما نزل من القرآن في تلك السرية، قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام ۞ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ۞ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ۞ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد ۞﴾ يعني تلك السرية، شروا أنفسهم من الله بالجهاد في سبيله، والقيام بحقه، حتى استشهدوا على ذلك، رضوان الله عليهم جميعاً ❑

السياسة الأميركية في احتواء أوروبا والسيطرة عليها

إن أوروبا خليط من الأجناس والشعوب والأعراق والطوائف واللغات والأديان، ومزيج من العادات والتقاليد والأعراف والأفكار والمشاعر المتباينة، وحقيقة هذا الواقع أنه عامل من عوامل الضعف سواء في حالة القوة أو حالة الضعف لأوروبا ولغيرها من القوى السياسية،كحال روسيا الآن، ولهذا كان من الطبيعي أن تكون أوروبا بؤرة للمشاكل الداخلية والدولية والحروب الأهلية والعالمية والصراعات الدموية العنيفة بين شعوبها وسائر الشعوب، وأن تسيل على أرضها أنهار من الدماء، وأن تكون تربة خصبة لإشعال الحرائق، بل إن خواصها الطبيعية تتضمن القنابل الموقوتة القابلة للانفجار في كل لحظة، وتحتوي على القابلية العالية للتشرذم والتقسيم والصراع في داخلها وبين شعوبها.

إن فهم محتوى السياسة الأمريكية وغاياتها تجاه أوروبا يستلزم فهم قضية أوروبا وواقع الشعوب الأوروبية التي لها شأن أو يمكن أن يكون لها تأثير، وواقع سياسة إنجلترا وفرنسا وأبعادها وفق الحقائق والمفاهيم السياسية، وإدراك القواعد والأسس والمعلومات للسياسة الأمريكية تجاه أوروبا والعالم، وتتبع أعمال أمريكا السياسية وتصريحاتها تجاه أوروبا مرتبطة بظروفها وغير منفصلة عن الحقائق والأسس والقواعد، مع ربط ذلك كله بالموقف الدولي والتأثير فيه وبالسياسة الأمريكية الدولية.

إن قضية أوروبا قضية تتعلق بوجود الدول الكبرى بوصفها كبرى، وتتعلق بالتوازن بين القوى الكبرى، وتتعلق بالسيطرة العالمية ومداها، وهي أقدم القضايا وأكثرها خطراً على ما يسمى بالسلام العالمي. أما كونها أقدم القضايا فإنها هي القضية التي أوجدت في العالم ما يسمى بالأسرة الدولية أو المجموعة الدولية، والتي من أجلها وجد ما يسمى بالقانون الدولي. فمن أجل ضرب نابليون ومنع توسع فرنسا وجد ما يسمى بالتحالف المقدس، ثم من أجل منع ألمانيا من أخذ نفط الشرق الأوسط، والحد من قوتها كانت الحرب العالمية الأولى، ثم من أجل مقاومة ألمانيا ومنعها من الإخلال بميزان القوى في أوروبا اتفقت الدول الكبرى الأربع: إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، على سحق ألمانيا ومنعها من أن ترجع دولة كبرى ثانية. فإذن قضية أوروبا هي قضية القضايا وهي محل الاهتمام الأول من أمريكا وروسيا وفرنسا وإنجلترا.

وأما كون قضية أوروبا هي أخطر القضايا على ما يسمى بالسلام العالمي فإن ذلك متمثل في سلوك وتصرفات كل من فرنسا وإنجلترا وألمانيا، وفي تصرفات روسيا وأمريكا قبل الاتفاق بينهما وفي تصرفاتهما بعد الوفاق، وفي تصرفات الولايات المتحدة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وتحقق الوحدة الألمانية.

أما فرنسا وإنجلترا وأمريكا قبل اتفاق العملاقين عام ١٩٦١، فقد كانت تمثل المعسكر الغربي. وكانت قضية أوروبا تمثل تصفية ذيول الحرب العالمية الثانية، وكانت تتمثل لدى المعسكرين ـ الغربي والشرقي ـ في البحث في مستقبل أوروبا الغربية ومستقبل ألمانيا، فالمعسكر الغربي، بقيادة الولايات المتحدة، كان يرى توحيد أوروبا لتقف في وجه روسيا، وكانت أمريكا تعنى بشكل خاص في بعث العسكرية الألمانية وإيجاد جيش ألماني قوي للوقوف في وجه روسيا ولإيجاد توازن جديد بين ألمانيا وفرنسا وإنجلترا. وأما روسيا فقد كانت تتزعم المعسكر الشرقي، وكانت ترى الخطر المحقق عليها إنما يأتي من أوروبا، ومن ألمانيا بشكل خاص، ولذلك كانت تقف في وجه توحيد ألمانيا، وفي وجه توحيد أوروبا، وضد الجيش الأوروبي، وضد إعادة تسلح ألمانيا.

أما بعد اتفاق العملاقين، الذي تم بين خروشوف وكندي، فإن الحال قد تغير، إذ توحد رأي أميركا وروسيا تجاه قضية ألمانيا، واتفقا على رأي واحد تجاه قضية أوروبا. وقد ظهر ذلك فور اجتماعهما، فقد أعطى جون كندي رئيس الولايات المتحدة حينئذ تصريحاً قال فيه: «إن تخوفات روسيا من غزو أوروبا لها غزواً عسكرياً، لها ما يبررها، فإن روسيا ضربت من أوروبا مرتين في التاريخ، فالمرة الأولى ضربتها فرنسا في عهد نابليون، والمرة الثانية ضربتها ألمانيا في عهد هتلر، ولذلك لا بد من وجود ما يضمن عدم وجود خطر على روسيا من أوروبا كنزع سلاح أوروبا الوسطى مثلا». وهذا التصريح يدل دلالة لا لبس فيها على أن رأي روسيا وأمريكا تجاه قضية أوروبا وقضية ألمانيا بشكل خاص صار رأياً واحداً. وبعد تفكك وانهيار الاتحاد السوفييتي وتحقق الوحدة الألمانية صارت الرؤية الأمريكية تجاه أوروبا هي منع أوروبا

من الوحدة والعمل على تفتيت أوروبا والتدخل في شؤونها وسيادتها الداخلية والإشراف على البيت الأوروبي وتقسيمه وترتيبه وفق مصالحها الاستعمارية وعلى أساس الاستغلال لثرواته وكنوزه وشعوبه، وخلق الأزمات السياسية والاقتصادية والعرقية فيه، والحيلولة دون تمكين ما يسمى بالاتحاد الأوروبي من الانعتاق من ربقة سيطرتها السياسية والاقتصادية والنقدية وهيمنتها العسكرية الجاثمة على قلب أوروبا، وهي تريد تقوية ألمانيا بالمظهر والطابع الذي لا يشكل خطراً على مصالحها في أوروبا لإيجاد توازن إقليمي لا دولي بين ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، على أن يكون هذا التوازن واقعاً ضمن السيطرة الأمريكية لتسخيره لخدمة مصالحها الدولية لا الأوروبية فقط. وهذه الرؤية الأمريكية للبيت الأوروبي واضحة في تصرفاتها وتصريحات مسؤوليها، فقد ألقى أنتوني ليك مستشار الرئيس كلينتون السابق للأمن القومي محاضرة بعنوان ـ من الاحتواء إلى التوسع ـ قال فيها: [يجب علينا نشر الديمقراطية واقتصاد السوق في العالم لأنها تحمي مصالحنا وتحفظ أمننا، وتعكس في الوقت نفسه قيمنا التي هي قيم أمريكية وعالمية] وورد في صحيفة هيرالد تربيون في آذار عام ١٩٩٢: [نحن يجب أن نبحث عن إعاقة ظهور أنظمة أمنية أوروبية بالدرجة الأولى تعمل على الحلول محل الحلف الأطلسي] وقد فرضت أمريكا على أوروبا في معاهدة ماستريخت النصوص الآتية: [يتحرك الاتحاد الأوروبي طبقا للقرارات المتبناة في الحلف الأطلسي]، وورد أيضا أن هدف هذه الاتفاقية: [هو تطوير الاتحاد الأوروبي الغربي، باعتباره وسيلة لتقوية الثقل الأوروبي في الحلف الأطلسي].

وأما فرنسا فإنها، بعد مجيء ديغول إلى الحكم وحتى زيارة ديغول للولايات المتحدة واجتماعه بنيكسون في شهر آذار ١٩٦٩، تعمل لتوحيد أوروبا وجعلها قوة ثالثة تقف بين المعسكرين، لذلك كان ديغول يعمل لتقوية ألمانيا إلى الحد الذي لا يشكل خطراً على فرنسا، وإيجاد اتحاد كونفدرالي بين دول أوروبا مع ضمان السيادة لفرنسا، ويجهد ما استطاع لإبعاد إنجلترا عن أوروبا لاعتقاده أن سياستها التقليدية منذ فجر التاريخ حتى الآن الحيلولة بكل الوسائل دون توحيد أوروبا.

ومما جاء في مؤتمر ديغول الصحفي بشأن دخول إنجلترا السوق المشتركة ما يلي: ـ

[في الحقيقة فإن بريطانيا جزر ودولة بحرية ترتبط عن طريق تجارتها وأسواقها وموارد غذائها بأقطار عديدة و بعيد ... إن طبيعة النظام الاقتصادي البريطاني وهيكليته تختلف بدرجة كبيرة عن أنظمة الدولة الأوروبية الأخرى ... والسؤال هو أن نعرف فيما إذا كانت بريطانيا تستطيع في الوقت الحاضر أن تضع نفسها في القارة الأوروبية، وأن تحبها، ضمن تعرفة جمركية مشتركة، وأن تتنازل عن الأفضلية التي تتمتع بها في الكومونولث، وأن تكف عن المطالبة بامتيازات في المنتَجات الزراعية، وأكثر من ذلك أن تلغي روابطها مع المنطقة الصناعية الحرة. هذا هو السؤال المطروح، ولا يستطيع أحد القول بأن هذا التساؤل قد حل أو بأنه سيحل يوماً ما. إن بريطانيا وحدها قادرة على الإجابة]. [يجب الاتفاق على أن دخول بريطانيا إلى السوق، ثم الدول الأوروبية الأخرى، سيغّير بالكامل التعديلات والاتفاقات والتعويضات والنظم التي وضعتها دول السوق ...وبذلك فإننا سنرى سوقاً جديداً لا تشبه السوق التي أنشأتها الدول الست. يضاف إلى ذلك أن سوقاً بهذا الاتساع ستواجه مشاكل عديدة في علاقاتها التجارية مع حشد من الدول الأخرى، وعلى رأسها أمريكا. وما هو منظور، فإن تماسك أعضاء بهذا العدد والتنوع لن يدوم طويلاً، وستظهر في النهاية منظومة أطلسية ضخمة تعتمد على أمريكا وتكون بقيادتها وتحت إمرتها، مما يمكنها من استيعاب المنظومة الأوروبية. وقد يكون لهذا الواقع ما يبرره في نظر البعض، لكنه ليس ما أرادته فرنسا أو ما تريده، وهو الصرح الأوروبي]. ولهذا رفض ديغول بشدة انضمام بريطانيا إلى السوق الأوروبية، لأنه لم يكن يعتبرها دولة أوروبية، وكان يشترط على بريطانيا أن تقرّر وضعها: هل هي دولة أوروبية أو لا ؟ قبل أن تنضم إلى السوق الأوروبية، كما أن ديغول كان يدرك أن دخول بريطانيا السوق المشتركة سيؤدي إلى خلخلتها وإضعافها، وهو ما تريده أميركا أيضاً.

ولكن بعد استقالة ديغول، فإن فرنسا لم تبلغ بها الحصافة إلى حد منع إنجلترا من الاشتراك في قضايا أوروبا، وبالتالي من دخول السوق المشتركة التي تطورت فيما بعد إلى ما يسمى بالاتحاد الأوروبي، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي تريد فرنسا تقوية ألمانيا بشكل وحجم لا تشكل خطراً عليها وتريد تسخير القوة الألمانية والاتحاد الأوروبي للوقوف في وجه الاحتلال والهيمنة والسيطرة الأمريكية على أوروبا لكي تتمكن بعدها من العودة إلى مجدها وعظمتها الدولية.

وأما إنجلترا فإنها توطد صلتها بألمانيا وتطلعها على مؤامرات أمريكا وروسيا ـ إبان الوفاق ـ ضد تطور ألمانيا وضد تقويتها وضد توحيدها، وكانت كذلك تحاول دخول السوق المشتركة من أجل أن تسجل نفسها رسمياً أنها دولة أوروبية ولم تنجح في ذلك إلا بعد استقالة ديغول من أجل استخدام أوروبا كقوة ضد العملاقين. وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي تريد إنجلترا تكتيل أوروبا ـ لا توحيدها ـ بمعزل عنها لتقف في وجه الغطرسة والهيمنة الأمريكية على أوروبا وعلى العالم، وهي تشجع تقوية ألمانيا لكي تتوازن مع فرنسا ولتسخير ألمانيا وفرنسا وسائر دول أوروبا للوقوف في وجه

السيطرة الأمريكية على أوروبا، ولهذا شجعت إنجلترا أمريكا الإبقاء على الحلف الأطلسي كقوة عدوان واحتلال لأوروبا لتثير دول أوروبا وروسيا وتدفعهم نحو التكتل والتحالف لمعالجة خطر القوة الأمريكية، ولهذا تحرص على الإبقاء على علاقاتها مع كل من أمريكا وأوروبا، وترفض ربط عملتها بالعملة الأوروبية الموحدة، والمشاركة في الفيلق الفرنسي الألماني، كما ترفض مقاومة السياسة الأمريكية علنا فيما يتصل بأوروبا، فالتفكير البريطاني في معالجة القوة الأمريكية لم يتغير وهو ما كشفه تشرشل، وكان مما قاله: إن الولايات المتحدة عملاق لا يمكن التغلب عليه إلا إذا أثخن بالجراح، وإن أضخم الأشجار هي التي تنمو بعيداً عن الغابة. فساسة بريطانيا يدركون قوة الولايات المتحدة ويدركون أطماعها في العالم وفي الإمبراطوريات الأوروبية ولهذا يريدون معالجة هذه القوة على المستوى العالمي دون أن يتدخلوا في معالجة هذه القوة عملياً. فقضية أوروبا قبل وجود العملاقين قوة كبرى في العالم وبعد وجودهما وبعد انفراد الولايات المتحدة بزعامة العالم، قائمة على أساس أنها قضية تهدد باندلاع شرارة الحرب منها. ولذلك تعتبر قضية أوروبا قضية خطرة على ما يسمى بالسلام العالمي ❑

سعيد عبد الرحيم

تأمّـلات في كتـاب :
(أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة)

يتحدث الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه «أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة» عن حاجتنا إلى فقه جديد غير الفقه الذي نعرفه والذي يسميه تقليدياً. ويضع عنواناً هو: (حاجتنا إلى فقه جديد). ومن يقرأ عنواناً كهذا يتوقع أن يذكر الشيخ أسباباً قوية تقتضي منا أن نبحث عن فقه حديث لعدم كفاية الفقه الذي نعرفه. وقد قرأت ما كتبه الشيخ فأحسست بخيبة أمل مريرة فهو يقول في ص٢٦: (الحق أننا في حاجة إلى فقه جديد، نستحق به أن نكون ممن وصفهم الله بأنهم «قوم يفقهون») وهذا يعني أن الناس، أقصد المسلمين، لم يكونوا قبل اكتشاف هذا الفقه الجديد من الذين يفقهون لأنهم كانوا يتعاملون بفقه تقليدي واستمروا يستحقون وصف «الذين لا يفقهون» حتى برز إلى الدنيا هذا الفقه الجديد.

والحق ليس ما قاله الشيخ عن حاجتنا إلى فقه جديد فنحن لسنا في حاجة إلى فقه يحل لنا ما حرم الله علينا، فلسنا في حاجة إلى إصدار أحكام جديدة فيما حدث من وقائع، وإنما نحن في حاجة إلى إصدار أحكام شرعية فيما جدّ من وقائع ـ ولم يجر الاجتهاد في استنباط حكم شرعي لها ـ فلسنا في حاجة ملحة إلى محاكمة الأحكام الشرعية التي استنبطها الفقهاء المجتهدون. ولكن يبدو أن الشيخ هو نفسه يريد أن ينفلت من قبضة القواعد الأصولية في محاولة لتطويع الأحكام الشرعية لموافقة الواقع. ومثله في هذا كمثل من لا يجيدُ قواعد اللغة العربية فإذا كتب راح ينصب الفاعل ويرفع المفعول ويجر المنصوب وينصب المجرور، ويزعم للناس أن هذا فقهٌ لغويٌ جديدٌ يريح الناس من عناء التقيد بالقواعد ويجعلهم يكتبون بحرية أكبر.

يسرد علينا صاحب الفقه مجموعة من الآيات الكريمة التي تفضح المنافقين وتبين حقيقتهم وتصفهم بأنهم قومٌ لا يفقهون كقوله تعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ سورة الأعراف ١٧٩ وقوله تعالى: ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ الأنفال ٦٥، وأورد مع هذه الآيات التي تتحدث عن المنافقين آيتين هما: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض، أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ۞﴾ الأنعام: ٦٥.

وفي السورة نفسها: ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ۞﴾ الأنعام: ٩٨.

ويختم بحثه بهذه العبارة: (ولا ريب أن من كان هذا وصفه ليس عنده شيء من الفقه) ويكتب كلاماً تحت عنوان «الخلاصة» في بضعة أسطر لا يختلف عن سابقه ولا يضيف جديداً.

تدبر معي أيها القارئ الكريم هل تجد في هذا الكلام ما يدلك على حاجتنا إلى فقه جديد؟

فالآيات التي سردها الشيخ هي إما آيات تلفت النظر إلى قدرة الله عز وجل ينبه الله الناس فيها بقوله «لعلهم يفقهون» أو آيات تتحدث عن جهل المنافقين وأنهم يخشون الناس أكثر من خشيتهم لله ولذلك يصفهم الله سبحانه بأنهم «قوم لا يفقهون». فهل كون المنافقين لا يفقهون يجعلنا في حاجة إلى فقه جديد؟ وهل يجد عاقل ربطاً بين المقدمة والنتيجة؟ بين الأدلة والمستدل بها عليه؟

والمهزلة الكبرى أن الشيخ عندما ختم بحثه بقوله (ولا ريب أن من كان هذا وصفه ليس عنده شيء من الفقه) غاب عنه أن المسلمين المؤمنين الموقنين يؤمنون بما ينكره الكفار والمنافقون وهذا يجعلهم قوماً يفقهون ويكون الشيخ قد خاض معارك وهمية لإثبات ما هو ثابت وتحصيل ما هو حاصل!! لأن شيخنا قد بدأ بحثه بقوله: «والحق أننا في حاجة إلى فقه جديد نستحق به أن نكون ممن وصفهم الله بأنهم (قوم يفقهون) ونحن المسلمين قوم يفقهون لأننا لا نخاف الناس أكثر من الله ولأننا لا نرضى أن نكون مع الخوالف ولأننا نحب الله ورسوله أكثر من أي شيء سواهما، وهكذا تكون الحاجة إلى فقه جديد وهمية لا معنى لها.

ونختم الكلام بآية ذكرها الشيخ وعلق عليها فقال:

وفي سورة التوبة ذم الله المنافقين بقوله: ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ۞﴾

التوبة: ٨٧.

يعلق الشيخ عليها فيقول: «فالفقه المنفي هنا هو الفقه في ضرورة الجهاد والبذل لحماية الدين والنفس والعرض، وكيان الجماعة، وأنه مقدم على أية مصلحة فردية عاجلة».

نقول: لا نسلم بأن هذا هو تفسير الآية، وكل ما تدل عليه الآية أن المنافقين لا يعلمون ما هو الواجب عليهم وهو القتال مع رسول الله ﷺ، وأن القتال معه خير من التخلف عنه لما فيه من الأمر العظيم عند الله سبحانه وتعالى. والفقه المستعمل في الآية وفي غيرها هو الفقه بمعناه اللغوي وهو الفهم أي أن المنافقين لا يفهمون. ولا تؤسس الآية لفقه جديد أو غير جديد كما يتوهم الشيخ. وعلى كل الأحوال فما قاله الشيخ من أن الفقه المنفي في الآية هو الفقه في ضرورة الجهاد ... إلى آخر كلامه هو ثابت بالفقه الذي سمَّاه فقهاً تقليدياً. فالمسلمون يعلمون أن الجهاد فرض والقتال لرد العدوان عن النفس والعرض فرض كذلك والمقتول شهيد. وبهذا يكون الشيخ لم يأتِ بجديد أبداً.

فِقْهُ الواقِعِ

يزعُمُ الشيخ أننا في حاجة إلى ما يسميه فقه الموازنات، وبعد حديث قصير يضع الشيخ عنواناً هو: «حاجتنا إلى فقه الشرع وفقه الواقع». مع أن في كتابه ما يدل على جهله بالواقع وغفلته وعدم وعيه السياسي، لذلك فإننا سنؤخر الحديث عن فقه الموازنات المزعوم لنبين للناس براعته في فهم الواقع.

يقول الشيخ في كتابه «أولويات الحركات الإسلامية في المرحلة القادمة» «وتحت عنوان الحوار السياسي مع الغرب» ما يلي:

ص «١٨٧»: «ومن واجبنا نحن أن نعمل على تحسين صورتنا عند الغرب، التي كونها عنا خلال صراعات مريرة، لم تُمح من ذاكرة التاريخ، دخلت فيها المبالغات والأساطير ...

«إننا إذا أقنعنا قادة الغرب والمؤثرين في سياسته بحقنا في أن نعيش بإسلامنا، توجهنا عقيدته، وتحكمنا شريعته، وتقودنا قيمهوأخلاقه، دون أن نبغي عليهم، أو نضمر سوءاً لهم، نكون قد قطعنا شوطاً كبيراً في سبيل الوصول إلى هدفنا في إقامة المجتمع المسلم الذي ننشده في أوطاننا. فمما لا شك فيه أن أول ما يعوقنا في طريق هذا الهدف هم حكامنا الذين لنا بالمرصاد، ويقاومون كل توجه لتحكيم الإسلام في الحياة: الاجتماعية والسياسية والثقافية. وأن أكبر ما يؤثر على حكامنا هو الغرب ورجاله وساسته، بالتنفير من الإسلام، والتخويف من دعاته، والتشكيك في دعاته وحركاته، بالتصريح حيناً، والتلويح أحياناً، وبالطريق المباشر تارة، وغير المباشر طوراً. لهذا كان إقناع الغرب بضرورة ظهور الإسلام موجهاً وقائداً، لو أمكن، إقناعاً لحكام العرب والمسلمين بالتالي وفي ذلك كسبٌ كبير.».

الدكتور يوسف القرضاوي يقول هذا الكلام تحت عنوان: «الحوار السياسي مع الغرب» وأنا أقول رداً عليه تحت عنوان «لا حول ولا قوة إلا بالله» ما يلي:

هل يقول هذا الكلام من عنده أدنى وعي سياسي ؟؟

إن الشيخ يتحدث عن الأمر بسذاجة تشبه إلى حد كبير سذاجة الأطفال، بيد أن براءة الأطفال وسذاجتهم مقبولة أما في حق شيخنا فهي مستنكرة. وهو يذكرنا بما كان يقوله بعض الحكام والسياسيين والكتاب عن محاولة كسب أميركا إلى جانب حقنا في صراعنا مع اليهود. أو على الأقل تحييدها في هذا الصراع. ثم اكتشفوا بعد فوات الأوان أن ذلك وهم وسراب. فميدان الكفاح السياسي والصراع الفكري هو هنا في بلاد المسلمين، ومادته تحطيم أفكار الكفر، وإظهار عظمة أفكار الإسلام وأحكامه، وفضح الحكام والسياسيين، وخيانتهم لأمتهم ودينهم وبلادهم، وإبراز عقم معالجاتهم لقضايا الناس، وفشلهم في رعاية شؤون الناس رعاية صحيحة.

وكأني بالشيخ القرضاوي يظن أن حكام المسلمين، وهم يسومون أعضاء الحركات الإسلامية سوء العذاب ويحاربون الإسلام أشد المحاربة لمنع عودته إلى الحكم كما كان في السابق، أقول كأني بالشيخ يظن أن هؤلاء الحكام المجرمين هم ضحية للغرب لأنه لم يعطهم الصورة الصحيحة عن الإسلام وحركاته !! أو أن الغرب الحاقد لا يفهم الإسلام فهماً دقيقاً، وعليه فالشيخ يدعونا لنشرح للغرب الكافر حقيقة الإسلام والحركات العاملة له !! حتى إذا نجحنا في هذه المهمة الحضارية أوفدت أميركا مثلاً من يتولى مهمة إقناع حكام المسلمين بأن الإسلام دين الجمال والفضيلة والخير

والسلام ... وأن لا بأس على هؤلاء الحكام في أن يتركوا الحركات الإسلامية تصل إلى الحكم وتطردهم من هذا النعيم والملكِ الذي هم فيه فاكهون !!! ثم تبادر أميركا إلى سحب قواتها وإلغاء قواعدها العسكرية وسحب أساطيلها البحرية وشركاتها وتكف عن التدخل في شؤون المسلمين بعد أن أدركت روعة هذا الدين وروعة العاملين له !!. فهل هذه الدعوة تعبّر عن فقه الواقع، أم جهل به، وبعد عن معطياته !!

والغريب أن الشيخ في ص٥٨ من الكتاب نفسه يورد كلاماً للإمام علي رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه لابنه الحسن: إياك والاتكال على المنى فإنها بضائع النوكى «أي الحمقى» ويقول عن الأماني أنها قد تجتمع مع اليأس من الوصول إلى المراد. فكم يبعد هذا التصور عن الواقع وكم هو مغرق في الأحلام والأماني.

فِقْهُ الموازنَاتِ

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في الكتاب نفسه في ص٣٥ ما يلي:

«لقد أفتت بعض الندوات المتخصصة في الاقتصاد الإسلامي التي جمعت بين عدد من أهل الفقه وآخر من أهل الاقتصاد بشرعية الاشتراك في المؤسسات والشركات التي تنشأ في البلاد الإسلامية،وتعرض أسهمها على الجمهور، ويكون أصل عملها مباحاً، ولكن يشوبه بعض التعامل بالفوائد الربوية فَرُئِيَ _ في ضوء فقه الموازنات _ ألا تُترك هذه الشركات المهمَّة والمؤثرة في الحياة لغير المسلمين، أو للمسلمين غير المتدينين، وفي هذا خطر كبير وخصوصاً في بعض الأقطار، ويُمكن للمساهم أن يُخرِجَ من أرباحه نسبة تقريبية يتصدق بها في مقابل الفوائد التي شابت ربحه. وفي ضوء هذا الفقه أُفتي الشباب المسلم الملتزم ألا يدع عمله في البنوك وشركات التأمين ونحوها، وإن كان في بقائه فيها بعض الإثم، لما وراء ذلك من استفادته خبرة يجب أن ينوي توظيفها في خدمة الاقتصاد الإسلامي، مع إنكاره للمنكر ولو بقلبه،وسعيه مع الساعين لتغيير الأوضاع كلها إلى أوضاع إسلامية.».

وفي هذا النص الذي سجله الشيخ على نفسه لم نعد ندري فعلاً هل الشيخ من أنصار هذا الدين أم من أعدائه؟ هل هو مائل إلى هذا الدين أم مائل عليه؟ إن فقيهنا المتوازن المتسامح يحلُّ للناس ما حرَّم الله عليهم مدفوعاً بأوهام لا وجود لها إلا في ذهنه. ونحن هنا لن ندخل في حجاج فقهي فهذا لن يكون مجدياً مع من فقدت عنده البدهيات التي هي معلومة من الدين بالضرورة، بل سنرد عليه بالمنطق نفسه إلزاماً له بما يقول وإفحاماً له بكلامه: حدثني أحد الأصحاب أن إحدى الراقصات كانت تريد شراء نصف الشركة التي كان يعمل فيها وهي شركة ضخمة في السعودية، وشراؤها للنصف ليس لأنها لا تستطيع شراءها كلها بل لأن القانون هناك يمنع ذلك، فهل في ذلك خدمة للاقتصاد الإسلامي تبرر لها امتهان الرقص أو تقلل من الإثم الذي يلحق بها من هذه المهنة المحرّمة. فإن قيل إن الرقص أمام الرجال غير المحارم حرام قلنا والربا حرام كذلك ولا فرق، وهو يعترف بأن الاشتراك في هذه المؤسسات حرام فيما نقلناه عنه «وإن كان في بقائه فيها بعض الإثم»، ولا معنى لكلمة «بعض» لأن الإثم إثم قلَّ أم كثر.

ثم من أين جاء بهذه البدعة، أن يتصدق الإنسان من المال الحرام، أوَلم يبلغه قول الرسول ﷺ: «إن الله طيّب لا يقبل إلا طيباً»، وهل إذا تصدق المسلم من المال الحرام يخفف ذلك من إثم الكسب غير المباح. وإذا وضعت هذه القاعدة أساساً يفرّع عنها، فإن في ذلك استحلال الحرام بحجة قوة المسلمين ومنعتهم، والسيطرة على مواطن الحل والربط في اقتصادهم.

ومن العبارات الطريفة التي وردت في النص المنقول من كتاب الشيخ قوله:

(مع إنكاره للمنكر ولو بقلبه) فالأصل في المسلم أن لا يرتكب المنكر، وأن عليه إنكار المنكر الذي يقوم به غيره، بيده إن كان قادراً، أو بلسانه إن عجز عن استعمال يده، أو ينكره بقلبه إن لم يكن قادراً على غير ذلك، أما أن يتلبس هو بفعل الحرام. وينكره على نفسه فهذا من العجائب.

أدلة فقه الموازنات

١- يقول الشيخ القرضاوي في ص٣٤ مستدلاً على فقه الموازنات من كتاب الله تعالى:

والمتدبر للقرآن الكريم مكيه ومدنيه، يجد فيه أدلة كثيرة على فقه الموازنات والترجيح. نجد في الموازنة بين المصالح قوله تعالى على لسان هارون لأخيه موسى عليهما السلام: ﴿يا ابن أَمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي.﴾ طه: ٩٤.

فهل في هذه الآية موازنة بين المصالح كما ذكر الشيخ؟ وأين هي المصالح التي يراد الموازنة بينها؟

والحق أن ليس في الآية أية موازنة بين أية مصالح. والوضع الذي كان فيه هارون عليه السلام يشبه ما لو سافر صاحب شركة أو مصنع وترك شخصاً يدير الأمر عنه، وحدث في غياب صاحب الشركة أو المصنع أمر لم يعالجه نائبه معالجة صحيحة فعوتب على ذلك.

هذا كل ما في الأمر وهذا ما وقع تماماً فقد وقع هارون عليه السلام في حيرة وتصرف بالشكل الذي رآه مناسباً وهذا ظاهر في الآية في قول هارون عليه السلام: ﴿إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾ الآية.

فهارون عليه السلام كان محتاراً بين أمرين لم يعلم الصائب منهما، أو ما يوافق عليه موسى عليه السلام. وفي كل الأحوال، وسواء أصاب سيدنا هارون أو أخطأ، فليس هذا موضوعنا. المهم أنه لم تكن هناك موازنات من أي نوع بين أية مصالح كما توهم الشيخ.

٢- يقول الشيخ: وفي الموازنة بين المفاسد والأضرار نجد قوله تعالى على لسان صاحب موسى عليه السلام في تعليل خرق السفينة: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾. الكهف: ٧٩.

وهذه الآية أيضاً ليس فيها أية موازنة بين المفاسد والأضرار. والذي ورد في الآية يشبه ما لو علم أحدنا أن شخصاً يريد سرقة سيارة مثلاً، فإن استطاع أن يعيبها أو يعطلها ليمنع سرقتها وجب عليه أن يفعل لأن السرقة منكر يجب رفعه ودفعه ومنعه. حسب حديث رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ...» الحديث. أي حسب الفقه التقليدي كما يسميه الشيخ. فإن لم يستطع تعطيلها واستطاع أن يخبر الشرطة أو أي أحد يمكنه منع السرقة وجب عليه أن يفعل. وهذا ليس موازنة وليس فيه شبهة موازنة أبداً. أما ما ذكره الشيخ في قوله: «فلأن تبقى السفينة لأصحابها وبها خرق أهون من أن تضيع كلها، فحفظ البعض أولى من تضييع الكل». فهذه قاعدة مقررة في العقليات وليس في الشرعيات. وإن كان لها مدخل في الشرعيات ففي المباح فقط لا في غيره. ولو أن أحدنا كانت له أرض وأصابتها نار فاحترقت فإنه لا يقف مكتوف اليدين ويترك النار تلتهم الأرض كلها، بل يعمد إلى إنقاذ ما يستطيع إنقاذه عملاً بقاعدة: «حفظ البعض أولى من تضييع الكل». وهذا أمر مدرك بداهة ويجري عليه الناس. ولكن هذا مختلف تماماً عن العمل في البنوك الربويةفيما يتعلق بعملية الربا فهذا حرام قولاً واحداً ولا يحل لمسلم أن يكون له اتصال بعملية الربا عملاً بقوله ﷺ: «لعن الله الربا: آكله وموكله وكاتبه وشاهديه».

٣- يقول الشيخ: ومن أبلغ ما جاء في الموازنات قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير، وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله، والفتنة أكبر من القتل﴾. البقرة: ٢١٧.

ويعلق فيقول: (فقد أقر بأن القتال في الشهر الحرام كبير، ولكن لمقاومة ما هو أكبر منه). وهذا كلام خطير جداً لأنه يوهم أن الله سبحانه قد أباح في هذه الآية القتال في الشهر الحرام لمقاومة ما هو أكبر منه كما يقول الشيخ وهذا خطأ كبير لأن حرمة القتال في الشهر الحرام بقيت على حالها بقوله تعالى: ﴿قل قتال فيه كبير﴾ أي لا يحل. وقول الشيخ «لمقاومة ما هو أكبر

منه» مخالف للسيرة لأن المسلمين لم يخرجوا لقتال أصلاً، وعندما قتلوا العلاء بن الحضرمي كانوا يظنون أنهم في جمادى الآخرة وليس في رجب. وكانت آخر ليلة من جمادى الآخرة وأول ليلة من رجب. والله سبحانه لم يُبحِ القتال في الشهر الحرام في هذه الآية أبداً. فمن أين فهم الشيخ أن الله أحلَّ القتال في الشهر الحرام لمقاومة ما هو أكبر منه؟

إن الله سبحانه وتعالى لم يطلب من المسلمين، بعد هذه الواقعة، أن يعتذروا للكفار المشركين، فالمسلمون قد قتلوا كافراً محارباً لهم على أي حال، وإن كان في الشهر الحرام فقد اشتبه الأمر عليهم كما أسلفنا، ولكنه جل وعلا، إعلاءً لشأن الإيمان وحطاً من قدر الكفر والشرك، عمد إلى تعيير المشركين وإظهار تناقضهم في أن ما فعلوه من فتنة المسلمين عن دينهم أكبر من القتل. ومعلوم أن من قتل من أبنائك خمساً وقتلت من أبنائه واحداً ليس له أن يلومك لأن ما فعله أكبر مما فعلته. خاصة أن الله سبحانه يعلم أن الزوبعة التي أثارها المشركون لم تكن حباً بالشهر الحرام واحتراماً له، بل كيداً بالمسلمين وطعناً بدينهم ونبيهم ففوّت الله عليهم الفرصة بأن هاجمهم وعيَّرهم وقرَّعهم وأظهر كذبهم وتناقضهم.

٤-يقول الشيخ: وفي الموازنة بين المصالح المعنوية والمادية نقرأ قوله تعالى عتاباً للمسلمين عقب غزوة بدر: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة، والله عزيز حكيم ﴾ الأنفال: ٦٧.

والشيخ في هذه الآية قد ذُهِل ذهولاً تاماً عن الحق، لأن هذه الآية إن كانت تتحدث عن الموازنة بين المصالح المعنوية والمادية فهذا يعني أن رسول الله ﷺ لم يفهم فقه الموازنات بل كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفقه منه فيه (والعياذ بالله) لأن ما ورد في السيرة يقول: فقام عمر فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي ﷺ فقال للناس مثل ذلك فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء، قال فذهب عن رسول الله ﷺ ما كان من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء قال وأنزل الله عز وجل: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾نقلاً عن تفسير ابن كثير.

وهكذا يظهر جلياً أن الصواب كان مع عمر ابن الخطاب لا مع النبي ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه فهل يدعي الشيخ أن رسول الله ﷺ لم يكن له علم بفقه الموازنات؟

٥- يقول الشيخ: وفي الموازنة بين المصالح والمفاسد نقرأ قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما﴾. البقرة: ٢١٩.

وهذه الآية حجة على الشيخ لا له، لأن فقه الموازنات (كما يحدده الشيخ) يقتضي أن ما كان إثمه أكبر من نفعه، أن يترك، ولكن المسلمين ظلوا يشربون الخمر بعد نزول هذه الآية، وإلى أن نزل قوله تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ المائدة: ٩٠.

ويظهر تخبط الشيخ جلياً، إضافة إلى ما ذكرناه، عندما يتحدث عن فوائد فقه الموازنات فيقول إنه دعي للكتابة في مجلة «الدوحة» التي يشرف عليها علمانيون وبعد تردد قرر، في ضوء فقه الموازنات، أن يكتب. ونحن نقول للشيخ إن الكتابة في المجلة المذكورة أو عدم الكتابة أمر مباح ولا يحتاج إلى فقه خاص ولا إلى استشارة مركز للدراسات. ثم يقدم لنا دليلاً آخر على عدم الحاجة إلى فقه الموازنات، مع أنه يتحدث عن أهميته وأنه لا غنى لنا عنه فيقول في ص٣٧: «ومن نظر إلى الأمر، في ضوء فقه الموازنات، وجد أن الدخول في هذه الميادين الهامة ليس مشروعاً فحسب بل هو مستحب، بل واجب، لأنه وسيلة إلى أداء أمانة الدعوة ومقاومة الباطل والمنكر بقدر المستطاع، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما هو مقرر ومعلوم».

فهل الدخول في هذه الميادين واجب حسب فقه الموازنات، أو أداءً لأمانة الدعوة ومقاومة الباطل، أو حسب قاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؟ لأنه إذا كان واجباً حسب القاعدة الشرعية المعروفة، أو أداءً لأمانة الدعوة ومقاومة الباطل، وهذه من الفقه الذي يسميه الشيخ تقليدياً، لم نكن في حاجة أبداً إلى فقه الموازنات المزعوم وهذا هو الحق لأن في القواعد الشرعية (القديمة) ما يغني تماماً وكلياً عن فقه الموازنات أو أوهام الموازنات هذه. هذا في المباحات، مثل الكتابة في مجلة أو عدم الكتابة، ولكن الشيخ يذهب أبعد من ذلك فيُحِلُّ ما حرم الله سبحانه. يقول في ص٣٣: «لقد لقي العلامة المودودي وجماعته عنتاً كبيراً حينما رأى، في ضوء فقه الموازنات، أن انتخاب «فاطمة جناح» أقل ضرراً من انتخاب أيوب خان ... فشُنت عليهم الغارة بحديث: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» ويتساءل فيقول: وهل يفلح قوم ولوا أمرهم طاغية متجبراً؟ لن يفلحوا ...».

وهذا يشبه قولك لشارب الخمر: لن يفلح قوم شربوا الخمر وعصوا الله سبحانه فيقول لك: وهل أفلح قوم شربوا اللبن؟!! وتبقى الخمر حراماً إلى يوم القيامة أفلح شاربو اللبن أم لم يفلحوا.

وتولي المرأة أمر المسلمين حرام إلى يوم القيامة. وهل خلت الأمة من رجل يُسند الأمر إليه؟

والشيخ يقول: «والفقه هنا ينظر: أي الشرين أهون ...» ونحن نسأل الشيخ السؤال نفسه: أي الشرين أهون؟ أن يعصى الله سبحانه ويُستحلَّ حرامه وتُنتهك محارمه أو يتولى أيوب خان؟ إن الصبر على طغيان أيوب خان، على فرض حصوله، أهونُ مئات المرات من معصية الله سبحانه، بل لا وجه للمقارنة أصلاً، بل إن هذا السؤال لا يجوز والمقارنة لا تنعقد. ونحن، معشر المسلمين، لا نعترف بفقه يحلُّ ما حرم الله أو يحرم ما أحلَّ الله. وإن الصبر على تعذيب الطغاة وأذاهم وتنكيلهم بالمسلمين المخلصين لهو أحب إلينا من معصية الله عز وجل. اللهم ربنا لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك ❑

إنهاء أزمة لوكربي

منذ سنوات أخذت قضية «لوكربي» منحىً تصعيدياً إذ استطاعت أميركا أن تسوق مجلس الأمن لاتخاذ قرارات ظالمة بمقاطعة ليبيا جوّاً وجرّت معها أوروبا ودول العالم وحتى دول المسلمين، وجيران ليبيا. كما أنها اتخذت من جانبها إجراءات أحادية لمنع التعامل مع ليبيا فيما يتعلق بشؤون النفط.

وتحت ذريعة تنفيذ قرارات مجلس الأمن أحكمت الحصار على ليبيا في كل ما يتعلق بالطيران المدني من وإلى ليبيا، من قطع الغيار والصيانة والتجديد والتدريب. وفي كل ما يتعلق بالسلاح بجميع أنواعه، شراءً وتدريباً وقطع غيار.

وهذا النجاح الأميركي بقدر ما كان مضراً بالنظام الليبي إلاّ انه قد ألحق ضرراً فادحاً بعمليات تجارة السلاح مع ليبيا والمتضررون هم: فرنسا وبريطانيا وروسيا، لأن مصادر السلاح الليبي في مجمله هذه الدول الثلاث.

ومع مرور أكثر من ثماني سنوات واستمرار العقوبات استطاع النظام الليبي التعايش معها وتكييف أوضاعه بحسبها ـ فقد تخلى عن كثير من الخدمات للناس ـ بحجة الحصار ـ فاستطاع توفير مبالغ هائلة من المال كانت تذهب لصناديق الدول والشركات المنتجة للسلاح وقطع الغيار وبعض السلع المستوردة التي منعت من الدخول إلى ليبيا، واستطاع أن يستعيض عن الكثير من المستورد بإنتاج محلي أو بما يمكن أن يدخل عبر المنافذ البرية المفتوحة حول ليبيا. هذا بالنسبة لتعايش النظام الليبي مع العقوبات الدولية.

وإذا كان من المسلمات عند السياسيين الواعين أن القذافي أتت به بريطانيا في انقلاب وقائي لقطع الطريق على رجال عبد الناصر للوصول إلى الحكم. إلا أنه بممارسته لسياسة دعم ما يسمى بالإرهاب لسنوات طويلة أصبح حاجة أميركية ضرورية في المنطقة والعالم، ـ شأنه في ذلك شأن صدام حسين في العراق الآن ـ فهي لم تسعَ للإطاحة به طوال ثلاثة عقود من الزمن. لما يوفره لها من ذرائع التدخل والعمل في أفريقيا وبعض مناطق العالم بحجة مكافحة (الإرهاب) الليبي.

وقد قيل إن ريغان كان يحلم بخصم من هذا النوع، فالخطابات النارية لعقيد ليبيا كانت تقدم المبررات اليومية لريغان من أجل إيصال موازنة الدفاع الأميركية إلى مستوى خرافي ومن أجل تعزيز سياسته الهجومية وتجييش الأصدقاء، في معركة ضد الإرهاب، والذي هو في شطره صناعة أميركية.

ولم يكن من خاسر في عملية العقوبات والحصار غير بعض الشركات الفرنسية والغربية عموماً وبعض الشركات الأميركية أيضاً التي كانت لها عقود عمل في ليبيا، وظهرت الضغوطات من بعض الشركات الكبرى الغربية على حكوماتها في ضرورة وضع حدٍ للمسألة.

وزاد في تحريك الأمر تحرك أهالي الضحايا في حادث (لوكربي) مطالبين بالإسراع في معالجة المسألة والانتهاء منها. وبدأت العقوبات تتآكل، وأخذ الكثير من الدول الإفريقية يخترق الحصار الجوي، كما قامت ليبيا نفسها بتحدي الحصار في إرسال طائرات تنقل الحجاج إلى الديار المقدسة.

إزاء ذلك كله بدأت المحاولات والاتصالات للبحث عن مخرج، وبادرت فرنسا لفصل قضية إسقاط الطائرة الفرنسية (ايوتا) ـ المتهم فيها جهاز الاستخبارات الليبي ـ عن قضية (لوكربي) بعد أن كانتا قضيةً واحدةً وسارت فيها قضائياً باعتبارها قضية جنائية ضد أشخاص وليست قضية دولية، وبالتالي اتخذت فيها أحكام قضائية (غيابية) ضد أشخاص ولم يجر ربطها بسياسة النظام الليبي، وكان من نتيجة ذلك تخفيف الضغط على النظام الليبي من الجانب الأوروبي.

ودخلت الجامعة العربية ومصر في محاولات إيجاد مخرج لحل المسألة، وكان هذا مؤشراً على أن أميركا صارت تبحث عن حل يحفظ ماء الوجه للجميع، خشية أن تصبح العقوبات غير فعالة.

فجاءت المبادرة هذه المرة من جنوب إفريقيا في شخص الرئيس منديلا الذي يتمتع بصدقية عند النظام الليبي وعند الغرب على حدٍ سواء، أما أميركا فكان بندر بن سلطان ممثلها في المبادرة، التي تقضي بمحاكمة الليبيين المتهمين في هولندا أمام القضاء الاسكوتلندي، وتجاوب النظام الليبي مع المبادرة ـ بعد أن أعطي بعض الضمانات بأن لا تذهب المحاكمة إلى حد اتهام النظام بأنه يقف وراء إسقاط طائرة لوكربي ـ وفي سياق ذلك اشترط القذافي على الوسطاء عدم قيام المخابرات الأميركية

والبريطانية بالتحقيق مع المتهمين فوافق الأطراف على ذلك، ويبدو أن هذا الشرط هو الذي كان يؤخر حل أزمة لوكربي.

وكان لا بد للقذافي من الاستجابة لمبادرة «نلسون منديلا» لاعتقاده بأن هذه الضمانات التي أعطيت له هي أقصى ما يمكن الحصول عليه في وقت يشهد العالم وبإرادة أميركية تجفيف منابع الإرهاب وملاحقة المتهمين به وقد سارت أميركا في هذا الصدد شوطاً بعيداً بعد تسليم كارلوس من قِبَل السودان إلى فرنسا وخطف عبد الله أوجلان وتسليمه إلى تركيا ومطاردة ابن لادن وتوقيف بينوشيه في بريطانيا تمهيداً لتسليمه إلى القضاء الإسباني، ومحاكمة مجرمي البوسنة الصرب في محكمة «لاهاي» وإصدار مذكرات توقيف بحقهم.

وفي سياق سير القضية لا بد من الإشارة إلى أن القذافي استدرج إلى القبول بتسليم الشخصين المطلوبين بعد أن تم الانتهاء من قضية الطائرة الفرنسية وإصدار أحكام قضائية غيابية في حق عناصر ليبية ولم توجه التهمة إلى النظام الليبي، غير أن ملابسات القضيتين مختلفة الواحدة عن الأخرى ففرنسا لا تسعى إلى الإطاحة بالنظام الليبي وليس هناك خصومة ولا عداء معه بل هناك مصالح لفرنسا في ليبيا مضمونة.

ومن جهة أخرى فإن النظام الليبي بدأ منذ مدة في فك ارتباطاته وعلاقاته بالمنظمات التي تعتبرها أميركا والغرب منظمات إرهابية مظهراً بذلك تخليه عن سياسة دعم الإرهاب، وبالتالي قطع أغلب معوناته وإمداداته للمنظمات المسلحة في العالم، بل وأكثر من ذلك فهو قد عمل على الغدر بها وتسليم المعلومات المهمة التي لديه عنها للأنظمة الغربية التي تلاحقها. كما فعل بمنظمة الألوية الحمراء في إيطاليا ومنظمة بادرماينهوف الألمانية، ومنظمة الجيش الإيرلندي ومنظمة مجاهدي مورو الفلبينية، وقيامه مؤخراً بتسليم أعداد من شباب جبهة الإنقاذ الجزائرية إلى السلطات الجزائرية. وبذلك قدم أعظم خدمة للدول الأوروبية في القضاء على أخطر مشكلة تعانيها هذه الدول.

كما يجب أن يسجل عليه أنه طوال فترة ٣٠ عاماً من حكمه لم يقم بأي عمل حقيقي ضد مصالح الغرب أو ضد دولة اليهود في فلسطين، بل إن كل أعماله السياسية ومشاريعه كانت إما للتخريب على المصالح الأميركية أو لضرب مقومات الأمة، ولذلك كانت سياساته ومشاريعه بالغة الخطورة على الأمة الإسلامية، فهو درج على بذر الخصومات والشقاق في الأمة تحت شعار الوحدة فكانت النتائج وضع العوائق والصعوبات في وجه الوحدة الحقيقية. فضلاً عن أنه في سياق تعامله مع قضية لوكربي لم يعمل على استغلال حادثة إسقاط الطائرة الليبية فوق سيناء في العام ١٩٧٢م باعتداء سافر على المدنيين في طائرة مدنية تابعة للخطوط الليبية راح ضحيتها كل الركاب وهم من خيرة شباب ليبيا من أمثال مسعود صالح بو يصير وعدد من طلاب الطب والهندسة في الجامعات المصرية ويومها ظهر وكأن هناك تواطؤاً على إسقاطها مع اليهود. كما لم يحرّض الإيرانيين على إثارة موضوع الطائرة الإيرانية المدنية التي أسقطت بفعل صاروخ أميركي من البحر، وكان ضحايا الجريمة يفوقون ضحايا «لوكربي» عدداً. فقد كان بالإمكان استغلال ذلك كله في المحافل الدولية وإدانة أميركا على ذلك وخصوصاً أن إسرائيل وأميركا معترفتان بالحادثين. وذلك من علامات الفساد والتقصير لدى النظام وعدم أهليته لحكم العباد، كما هي سمة غيره من الأنظمة في البلاد الإسلامية.

ففي جميع القضايا والأزمات مع الغرب تكون النتائج الخسارة المضاعفة التي تدفعها الأمة من مالها ورجالها يضاف إلى ذلك ما أشيع من أن القذافي دفع مبالغ ضخمة لذوي الضحايا عن طريق وسطاء احترفوا عمليات النصب من أمثال شقيق الرئيس الأميركي الأسبق كارتر ورجل الأعمال اليهودي (نمرودي) من دون أن يؤدي ذلك إلى إنهاء المسألة.

يبقى السؤال الملح كيف يمكن أن يكون سير القضية وكيف يمكن أن تنتهي المحاكمة.

أما كيف يمكن أن يكون سيناريو سير القضية؛ فهذا يعتمد على إمكانية استغلال أميركا لهذه المحاكمة في المستقبل. فهي نظراً لانشغالها في الوقت الراهن في قضايا أكثر أهمية وحيوية بالنسبة لها في العالم من مثل قضية البلقان وقضية العراق والشرق الأوسط قد تعمد إلى إطالة أمد المحاكمة إلى وقت تستطيع فيه استغلالها ضد ليبيا. بعد أن تنضج الظروف اللازمة لجعلها محاكمة للنظام الليبي فيأخذون أحكاماً بتجريم القذافي نفسه وتبدأ أميركا العمل لإقصائه أو إلى جره إلى مواجهة تنتهي بالإطاحة به أو تدمير البلاد حتى يسهل لهم النزول فيها كما يخططون الآن للعراق. ولهذا قيل إن المحاكمة قد تدوم سنتين، وإن كانت بريطانيا تعمل للتطبيع مع النظام الليبي، ولتسويقه دولياً، فقد صرّح مؤخراً وزير الخارجية البريطاني روبن كوك أن ليبيا، بعد تسليم المتهمين في حادث لوكربي، سيكون لها دور في الشراكة الأوروبية ـ المتوسطية، كما أن شركة الخطوط الجوية البريطانية قررت استئناف رحلاتها إلى ليبيا. وقد لوحظ نشاط سياسي واسع لعقيد ليبيا، إذ عمل على التوصل إلى وقف لإطلاق النار في الكونغو، رحب به الطرفان المتحاربان، كما جمع الرئيس السوداني البشير، والرئيس الاريتري أفورقي في محاولة

لإنهاء حالة التوتر في العلاقات بين البلدين، والتي تتمثل في قطع العلاقات الدبلوماسية، ودعم كل من الطرفين المعارضةَ المسلحةَ ضد الطرفِ الآخر، ويبدو أن قطر تواصل الآن مهمة إنهاء القطيعة بين البلدين حيث يزورها أفورقي. وينتظر وصول البشير إليها أيضاً. كما جمع القذافي المعارضة السودانية من أجل مصالحتها مع النظام السوداني، ووقف الحرب الدائرة في جنوب السودان. ولكن، يبدو أن أميركا لا تزال تتربص بليبيا، فقد طالب عدد من أعضاء الكونغرس الرئيس كلينتون بعدم رفع العقوبات عن ليبيا لضمان تعاونها في موضوع لوكربي ❑

كلمة أخيرة

العس
السل
بنتا

لغة
وتُج
السل

النتي
مؤخ
زروا
ارتك
هي
بمح
السل
الأمن
المح

يظه
بعمل

اتفاق عربي لمكافحة الإرهاب !!

- صرح الأمين العام المساعد للشؤون القانونية في الجامعة العربية (رضوان بن خضرا) قائلاً: «إن الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب ستنفذ في السابع من الشهر المقبل بعد إيداع سبع دول عربية وثائق التصديق على الاتفاقية هي: مصر والجزائر والسعودية والإمارات والبحرين وفلسطين والأردن. وسيعقد اجتماع في ٤ أيار لوضع آلية التنفيذ».
- في اليوم نفسه أعلنت وسائل الإعلام أن ليبيا كانت قد سلمت في شهر آذار ٩٩ خمسة من الحركيين المسلمين لمصر، وسبق ذلك قيام دول أخرى بتسليم مصر أعداداً من المنتمين إلى تنظيمات إسلامية، وهذا يدل على تجاوب كامل من قبل العديد من الدول مع مطلب تسليم المطلوبين بتهم «التطرف والإرهاب» وأطلق عليهم اسم «العائدون الأفغان» أو «العائدون من ألبانيا» ولوحظ تواطؤ الكثير من الدول في هذا المجال بعد أن كان يظن هؤلاء الحركيون أنهم في ملاذات آمنة، فإذا بهم يكتشفون ولو متأخرين بأن عالم المصالح والصفقات السياسية لا يوجد فيه ملاذ آمن حتى لمن خدمهم وخدم مصالحهم ردحاً من الزمن.
- يتساءل المرء وهو يعلم الجواب: كيف قررت هذه الأنظمة عملاً ونجحت في الاتفاق عليه وممارسة تنفيذه، بينما هناك عشرات الاتفاقيات الاقتصادية الثنائية والجماعية التي وقعت منذ الخمسينيات والستينيات ولم ينفذ منها إلا القليل القليل، منها ما يتعلق بتسهيل انتقال الأيدي العاملة ورأس المال، ومنها ما يتعلق بتخفيض الرسوم الجمركية أو إلغائها ومنها ما يتعلق بتسهيل الترانزيت، والأسواق الحرة والتصنيع المشترك، والعلاقات المميزة والانتقال بالهوية ... إلخ.
- لا يتوقع عاقل من هؤلاء سوى هذا النوع من الإنجازات، ولهذا لا يتوقع إجراءً ضد اليهود الغاصبين، ولا ضد الصرب ولا ضد أميركا وأساطيلها وقواها الرابضة فوق صدورهم، ولا ضد الفقر والمجاعة المتفشية في السودان والصومال وأماكن أخرى، ولا يتوقع أي عاقل أن يتفقوا على تصنيع السلاح بدل أن يدفعوا مليارات في صفقات ابتزازية، ولا يتوقع أن يتفقوا على وحدة سياسية كاملة وإزالة الحدود التي رسمها المستعمر وأوصاهم بالحفاظ عليها.
- لا عجب إذن أن نراهم يتفقون على مكافحة الساعين إلى التغيير (حسب قناعتهم)، ويختلفون على كل ما عدا ذلك، إنهم يحسبون كل صيحة عليهم، ويتعاملون مع الناس على هذا الأساس❑